

الكتاب : البيزرة
المؤلف : بازيار العزيز الفاطمي

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له في كل لطيف من قدرته معجز يتفكر فيه، وخفي من صنعه يتنبه له (و يدل عليه، ونعم تقتضي مواصلة حمده، ومن تحت على متابعة شكره، والذي ميز كل نوع من حيوان خلقه على حدته، وأبانه بشكله وصورته، وجعل له من الآلة ما يلائم طبعه مركبه؛ ويسر له للأمر الذي خلق له، ويؤديه إلى مصلحته وقوام جسمه، وجعلنا من أشرف ذلك كله نوعاً، وأتمه معرفة، وجمع فينا بالقوة ما فرقه في تلك الأصناف بالآلة، فليس منها شيء مخصوص بحال له فيها مصلحة إلا ونحن قادرون على مثلها، كذوات الأوبار التي جعلت لها وقاء وكسوة، تلزمها ولا تعدمها، فإننا بفضل حيلة العقل نستعمل مثل ذلك إذا احتجنا إليه، ونفارقه إذا استغنيا عنه، وكذوات الحد والشوكة من صدف ومخلب، فإن لنا مكان ذلك ما نستعمله من السيوف والرماح وسائر الأسلحة، وكذوات الحافر والخف والظلف، فإن لنا أمثال ذلك مما نتعله وننقي أذى الأرض به، وجعل لنا خدماً وأعاوناً، وزينةً وجمالاً، وأكلاً وأقواتاً، فبعض نمطيه، وبعض نقتيه، وبعض نغذيه، وأحل لنا صيد البر والبحر والهواء، فقتنص الوحش من كناسها، ونخطها من معاقلها، ونستنزل الطير من الهواء، ونستخرج الحوت من الماء. ولم يكن في ذلك إلى مبلغ حيلتنا حتى عضدنا عليه، وسهل السيل إليه، بأن خلق لنا من تلك الأنواع أشخاصاً أغراها بغيرها من سائر أجناسها، ووصلها من آلة الخلق، وسلاح البنية، وقبول التأديب والتضرية، والانطباع على الأكف والاستجابة، فدلنا على موضع الصنع فيها، وموقع الانتفاع بها، كل الفهد والكلب وسائر الضواري، والبازي والشاهين والصقر وسائر الجوارح كل ما يجويه من ذلك لنا كاسب، وعلينا كادح. وبمصلحتنا عائد، نسوزعه جل جلاله الشكر على ما منحناه من هذه الموهبة، وفضلنا به من هذه التكرمة، إلى ما تقصر عن تعداده، ونعجز عن الإحاطة به، من عوائد كرمه، وفوائد قسمه، ونرغب إليه جل جلال في العون على طاعته ومقاولة إحسانه باستحقاقه. وصلى الله على محمد نبيه الصادق الأمين البشير النذير، وعلى آله الطيبين الأخيار، وسلم تسليماً، وعلى الأئمة من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب حتى تنتهي إلى العزيز بالله أمير المؤمنين فشملة ونسله إلى يوم الدين.

إن للصيد فضائل جمّة، وملاذم متعة، ومحاسن بيّنة، وخصائص في ظلف النفس ونزاهتها، وجلالة للكاسب وطبيها كثيرة، به يستفاد في النشاط والأريحية، والمنافع الظاهرة والباطنة، والمران والرياضة والخفوف والحركة، وانبعث الشهوة، واتساع الخطوة، وخفة الركاب، وأمن من الأوصاب مع ما فيه من الآداب البارعة، والأمثال السائرة، ومسائل الفقه الدقيقة، والأخبار المأثورة، ما نحن مجتهدون في شرحه وتلخيصه، وتفصيله وتبويبه، في هذا الكتاب المترجم بكتاب البيزرة، على مبلغ حفظنا، ومنتهى وسعنا، وبحسب ما يحضرننا، ويتنظم لنا، اتباعاً فيما لا يجوز الابتداع فيه، وابتداعاً فيما أغفله من تقدمنا ممن يدعيه، ونحن مقدّمون ذكر الأبواب التي تشتمل على ذلك، ليأتي كل باب منها في معناه، وبالله الحول والقوة ومنه عز وجل التوفيق والمعونة.

باب من كانت له رغبة في الصيد وعنده شيء من آلته من الأنبياء صلوات الله عليهم، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه ومن الأشراف.

باب تمرين الخيل بالصيد والضراعة وجرأة الفارس على ركوبها باقتحام العقاب، وتسهم الهضاب، والحدود والانصباب.

باب ما قيل في طرد كل صنف من وحش وطير.

باب فضائل الصيد وأنه لا يكاد يحب الصيد ويؤثره إلا رجلاً من متباينان في الحال، متقاربان في علو المهمة، إما ملك ذو ثروة، أو زهد ذو قناعة، وكلاهما يرمي إليه من طريق المهمة، إما لما تداوله الملوك من الطلب، وحب الغلبة والظفر، وموقع ذلك من نفوسهم، أو للطرب واللذة والابتهاج بظاهر العناد والعدة. والفقر الزاهد لظلف نفسه عن دنيّ المكاسب، ورغبتها عن مصرع المطالب وحقنه ماء وجهه عن غضاضة المهن، وتقاضي أجره العمل، فمن هذه الطبقة من يقتات من صيده ما يكفيه، ويتصدق بما يفضل عنه، توفياً من المعاملة والمبايعة، ومنهم من يبيع ما فضل عن قوته، ويعود بثمنه في سائر مصلحته. وكانت هذه حال الخليل بن أحمد القرهودي مع فضله وأدبه وكمال علمه وآلاته، في بازي كان يقتصص به، ويوسد خده لبنه، وكان جلة الناس في عصره يجذبونه، ويعرضون عليه المشاركة في أحوالهم فلا يشبه ذلك من مذهبه، فأحد من كاتبه سليمان بن علي الهاشمي فكتب الخليل بن أحمد إليه:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة... وفي غنى غير أني لست ذا مال

شحا بنفسي أني لا أرى أحداً... يموت هزلاً ولا يبقى على حال

وقلما رأيت صائداً إلا تبينت فيه من سيما القناعة، وعلامة الزهد والصيانة، ما لا تبينه في غيره من سائر المخالطين للناس، ولا تكاد تسمع منه ولا عنه ما تسمعه من سائرهم وعنهم.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في التفسير قال: إنما سمي أصحاب المسيح الخواريين لبياض ثيابهم وكانوا صيادين.

وقال أرسطو طاليس: أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة، وذلك لو أن رجلاً سقط إلى بلدة ليس بها أبيض ولا زرع لم تكن له همّة إلا حفظ جسمه ونفسه بالغذاء الذي به قوامه، فليس يفكر إلا فيما يصيده، فإذا صاد واغتنى فليس يفكر بعد ذلك إلا فيما يستظل به ويستكن فيه وهو البناء، فإذا تم له فكر حيثنذ فيما يزرعه ويغرسه.

ويغدو للصيد اثنان متفاوتان، صعلوك منسحق الأطمار، وملك جبار، فينكهي الصعلوك غانماً، وينكفي الملك غارماً، وإنما يشتركان في لذة الظفر. ولا مؤونة أغلظ على ذي المروعة من تكلف آلات الصيد لأثما خيل وفهود وكلاب وآلات تحتاج في كل قليل إلى تجديد. ومن ههنا قيل إنه لا يشغف بالصيد إلا سخي.

قال أبو العباس السفاح لأبي دلامة: سل؟ فقال: كلباً، قال: ويلك، وماذا تصنع بالكلب؟ قال: قلت: سل، والكلب حاجتي، قال: هو لك، قال: ودابة تكون للصيد، قال: ودابة، قال: وغلّام يركبها ويتصيد عليها، قال: وغلّام، قال: وجارية تصلح لنا صيدنا وتعالج طعامنا، قال: وجارية، قال أبو دلامة: كلب ودابة وغلّام وجارية هؤلاء عيال لا بد من دار، قال: ودار، قال: ولا بد من غلة وضيعة لهؤلاء، قال: قد أقطعناك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة،

قال: وما الغامرة؟ قال: لا نبات فيها، قال: أنا أقطعك خمس مائة جريب في فيافي بني أسد، قال: فقد جعلنا لك

المائتين عامرة، بقي لك شيء؟ قال: أقبل يدك، قال: أما هذه فدعها، قال: ما منعت عيالي شيئاً أهون من فقداً من

هذا.

وقيل لبعض من كان مدمناً على الصيد من حكماء الملوك، أنك قد أدمنت هذا وهو خير الملهي وفيه مشغلة عن مهم الأمور ومراعاة الملك. فقال: إن للملك في مداومة الصيد حظوظاً كثيرة أقلها تبيينه في أصحابه مواقع العمارة من بلاده في النقصان والزيادة فيه، فإن رأى من ذلك ما يسره بعته الاغتباط على الزيادة فيه وأن رأى ما ينكره جرد عنايته له ووفرها على تلافيه، فلم يستتر منه خلل، ورأس الملك العمارة، ولم يخرج ملك لصيد فرجع بغير فائدة، أما دوابه فيمرتها ويكف من غرب جهاتها، وأما شهوته فينسئها، وأما فضول بدنه فيذبيها، وأما مراد مفاصله فيسلسها، وأما أن يكون قد طويت عنه حال مظلوم فيتمكن من لقائه، ويروح إليه بظلامته، فيسلم من مأثمه. وأما أن ينكفي بصيد يتفائل بالظفر به إلى خصال كثيرة لا يخيل ما فيها من الربح.

وقيل للزاهد المشغوف بالصيد: لو التمتست معاشاً غير هذا، فقال: ادن لا أحد مثله، أن هذا معاش يجدي عليّ من حيث لا أعامل فيه أحداً وأنفرد به من الجملة وأسلم فيه من الفتنة، وألتمس في الخلوات والفلوات، وهي مواضع أهل السياحة ومظان أولي العبادة، وقلماً خلوت من حيوان عجيب في خلقه، لطيف فيما يلهمه الله من احتيال رزقه، يحدث لي فكره في عظيم قدرة الله جل وعزّ على تصارييف الصور، واختلاف التراكيب، تعجباً من مذاهب الوحش والطيور، في مساعيها لمعاشها، وتمحلها لأقواتها وما يلحقها حين تقع في الأشرار، وترتكب في الحبال، من الخوف التي تنصبها لها الأطماع، ويسوقها إليها الحرص، فأنا من ذلك بين متبّع للنديا، ومتأهب للآخرة. وهذا كتاب كليل ودمنة المتعارف عليه بين الحكماء فضله، المشتملة على الآداب جملة وفصوله، ذكر واضعه أنه حكمة ألفتها، وجعلها على ألسنة الطير والوحش، للطف مواقعها من النفوس، بمقارنة الشكل الحيواني، وإذا كانت كذلك كانت بالقلوب أمس، من الحفظ أقرب، وإذا كان لذكرها والحكاية عنها هذا الموضوع، فما ظنك بمشاهدتها ومطاردتها والظفر بما امتنع على الطالب منها.

وكانت ملوك الأعاجم تجمع أصنافها، من الحيوان في حظائر (وتدخل أصاغر أولادها عليها وتعرفها صنفاً صنفاً منها، كي لا ينسبوا إلى الجهل) إذا كبروا ولم يكونوا رأوها في صغرهم، فرأوا شيئاً منها غريباً سألوا عنه. وأشرف الغذاء الذي تحفظ به الأعضاء وما شاكلها، وليس شيء أشبه بها، وأسرع استحالة إليها من اللحم، وأفضل اللحمان ما استدعته الشهوة، وتقبلته الطبيعة بقوة عليه، ولا لحم أسرع الهضاماً، وأخص بالشهوة موقعاً، من لحم الصيد المطرود المكدود، لأن ذلك ينضجه ويهره ويسقط عن الطبيعة بعض المؤونة في طبخه، وقد قام في النفس من العشق له، والنهالك عليه، والنشوف إليه، ما لم يقيم فيها لغيره من المطاعم، فإذا وافى الأعضاء وقد تقدمت له هذه المقدمات، أحالته بالقبول في أسرع زمان. وإن كان الحيوان غليظاً عكست هذه الأسباب طبعه، ونفت ضرره، وقمعت كيموسه، وربما أكل اللطيف الخفيف على تعنف وتكره، فكان إلى أن يأخذ من الأعضاء أقرب من أن تأخذ منه الأعضاء، وتأول الرواة معنى امرئ القيس في قوله:

ربّ رامٍ من بني ثعلٍ ... مخرج كفيّه من ستره

فأنته الوحش واردة ... فتمتّى النزغ من يسره

فرماها في فرائصها ... من إزاء الحوض أو عقره

مطعمٌ للصيد ليس له ... غيرها كسبٌ على كبره

على المدح بادمان الصيد، ويمن الطائر فيه، واستثنائه بقوله على كبره زائد عندهم في المدح لوصفه أنه يتكلف من ذلك مع قدح السن وأخذها منه شيئاً لا يعجزه مع هذه الحال، ولا يلحقه فيها ما يعرض للمسن من الفتور والكالال، وبنو ثعل بنو عمه لأنهم فخذ من طيء، وكعدة فخذ من مرة، ومرة أخو طيء، فلم يرد غير المدح. وهذا

الرامي عمرو الثعلبي، وكان من أرمى الناس وفيه قيل:

ليت الغراب رمى حمامة قلبه ... عمرو بأسهمه التي لم تلعب

وفي أبيات امرئ القيس هذه أدب من أدب الصيد ولطائف حيله، وهو قوله: فتمتى النزع من يسره، وتمتى وتمطى واحد، أبدلت الناء من الطاء وفي تمى معنيان: أحدهما الاعتماد والتوسط من قولهم حصلته في متي كمي فتمتاه بمعنى تعمد متاه، والآخر بمعنى إبدال الناء من الطاء يريد التمثلي، وهو أن مريدي الصيد بالرمي يتمطى يساره نحو الأرض مرات حتى يؤنس الطريدة، فتألف ذلك منه ولا تدع له، ثم حينئذ يستغرق نزعه، ويمضي سهمه. ولا يزال امرؤ القيس في كثير من شعره يفخر بالصيد وأكل لحمه، كقوله مع عراقته في الملك:

تظلُّ طهارة اللحم من بين منضج ... صفيف شواء أو قدير معجل

وسماه لذة واكتفى بذلك من أن يذكر الصيد لعلمهم بذلك واشتهاره فيهم وقدره عندهم فقال:

كأني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ومن فضائله ما فيه من التبرز على ركوب الخيل صعوداً وحدوراً وكرّاً وانكفاءً وتعطفاً واثناءً، وذلك كما قدمنا زائد في الفروسية، ملين من المعاطف، مسلس من المراد، محلل لكوامن الفضول، مثبت للركبة، منسيء للشهوة، مؤمن من العلل المزمنة.

وقال بعض الحكماء: قلما يعمش ناظر زهرة، أو يزمن مريغ طريدة، يعني بذلك من أدمن الحركة في الصيد، ونظر البساتين، فاستمتع طرفه بنضرتها، وأنيق منظرها، وليس يكبر الملك الرئيس العظيم الوقور إذا أثرت الطريدة أن يستخف نفسه في ارغتها، ويستحضر فرسه في أثرها، ويترجل عنه في المواضع التي لا يقتحم الفرس مثلها. وحكي عن عظماء الأكاسرة من ذلك ما هو مشهور في سيرهم، وعن الخلفاء الراشدين ما نذكره في باب من أغري به منهم، ومنها ما يسبح فيه من النشاط والأريحية، لا سيما مع الظفر، ودرك البغية، فإن المرء يكون في تلك الحال أطرب منه عند سماع شائق الألحان، وتشاجي النغم من ذوي الإحسان، وربما قويت النفس حينئذ، وانبسبت الحرارة الغريزية فعملت في كوامن العلل.

أخبرني غير واحد ممن شاهد مثل ذلك أنه رأى من غدا إلى الصيد، وهو يجد صداعاً مزمناً، فظفر فعرض له رعا فحلل ما كان في رأسه، وآخر كانت به سلعة يجبن عن بطها، قويت عليها الطبيعة فانبطت. وآخر كان في بدنه جرح مندمل على نصل سهم، فبدر ذلك النصل، في وقت احداد حركته وتكامل أريجته، وربما عكس ما يعرض له من ذلك ذميم حالته، فآلت إلى ضدها من الخيرية، حتى يتشجع، وإن كان جباناً، ويجود وإن كان بخيلاً، وينطلق وجهه وإن كان عبوساً.

أخبرني بعض الأدباء عن رجل من الشعراء قصد بعض الكبراء. فتعذر عليه ما أمله عنده، وحال بينه وبينه الحجاب، وكان آلفاً للصيد مغرماً به، فعمد الشاعر إلى رقاغ لطاف، فكتب فيها ما قاله من الشعر في مديحه، وصاد عدة من الطباء والأرانب والثعالب، وشد تلك الرقاغ في أذنان بعضها، وأذان بعض، وراعى خروجه إلى الصيد، فلما خرج كمن له في مظانه ثم أطلقها، فلما ظفر بها واستبشر، ورأى تلك الرقاغ، ووقف عليها، زاد في طربه، واستطرف الرجل واستلطفه، وتنبه على رعي ذمامه، وأمر بطلبه فأحضر، ونال منه خيراً كثيراً. ومن شأن النفس أن تتبع ما عزاها، وبعد من إدراكها، فإذا ظفرت بما هذه سبيله بعد إعمالها الحيلة فيه، كان استمتاعها بالظفر به أكثر منه بما وقع عليها فتيسر، واقتياد لها متسمحاً.

وهذا شبيه بما تأوله يحيى بن خالد البرمكي في توصيته ولده، بتقديم العداة أمام الهبات، فإنه قال لهم: إن الموعد إذا

تحيل فصدق، وانتظر فطرق، وأستجح فأنجح، أمتع من مفاجأة البرّ.

ولو أن محاول حرب، أو مقارع جيش، هلك عدوه قبل مكافحته إياه حتف أنفه، أو انقلّ جيشه من سوء تديره فانصرف، أو جاءه ضاعاً طالباً لأمانه، لما كان مقدار السرور بذلك كمقداره لو نازله فقهره، أو بارزه فأسره. وهذا بين في الملاعب بالشطرنج فإن أحذق الاثنین بما وأعلمهما بتديرها إذا تبين التفاوت بينه وبين الآخر، ورآه متابع الخطأ، عمياً عن الاحتراز، متورطاً في الاغترار، مفرقاً عدده، مستهيناً لغنائه وتناقصه، محتملاً للطرح، لم يلتذ بملاعبته، ولم يحل له قمره.

ولو أن ملكاً يهدى له في كل يوم عدد كثير من أصناف الوحش والطير، لم يبلغ فرحه بذلك جزءاً واحداً من اغتباطه بقنبرة ضئيلة يدأب في صيدها، أو عكرشة هزيلة يظفر بها، وكم من جواد رائع يضن بظهره على أحب أولاده إليه قد قتله بازياره، ولو أن الصيد أمكن مريغه في أول إثارته لتقص ذلك من لذته، وقدح في موقعه. وقال بعض المحدثين:

لولا طراد الصيد لم يك لذة ... فتطاردني لي بالوصال قليلا

هذا الشراب أخو الحياة وما له ... من لذة حتى يصيب غليلا

وأخذ هذا محمد بن الوزير الحافظ الغساني فكساه لفظاً حسناً في كلمة له يعتذر فيها من تأخير هدية:

يَفْدِيكَ خَلٌّ إِذَا هَتَفَ بِهِ ... جَرَّتْ مَجَارِي لِسَانِهِ يَدُهُ

أخَّرَ مَا عِنْدَهُ لِتَطْلِبِهِ ... وَلِذَةِ الصَّيْدِ حِينَ تَطْرُدُهُ

وقال بعض الكتاب يستغني رئيساً من برّ بعث إليه:

قد جاءت الورق التي وقرتها ... والريم والسرج المَحْلَى والفرس

والبغلة السفواء والخلع التي ... كانت كعرضك ليس فيه من دنس

في ريجها أرج يצוע كأنه ... من عود مَحْتَدِكِ الكريم المغرس

والضوء يلمع في الظلام كأنه ... من نور وجهك أو ذكائك يُقْتَس

لكن أبت لي أن أروح واغتدي ... كلاً على الأخوان أخلاقي الشُّمس

لا أستذ العيش لم أدأب له ... طلباً وسعياً في المواجر والغلس

وأرى حراماً أن يواتيني الغنى ... حتى يحاول بالعناء ويُلتَمَس

فاحبس نوالك عن أخيك موفراً ... فالليث ليس يُسِيغ إلا ما افترس

ومن فضل العلم بالصيد والعادة له ما حكاه لي أبي عن اسحق (بن إبراهيم بن السندي، عن عبد الملك بن صالح الهاشمي، عن خالد بن برمك، أنه كان نظر، وهو مع صالح الهاشمي صاحب المصلّى وغيره من رجال الدعوة، وهو على سطح قرية نازل مع قحطبة حين فصلوا من خرسان، وبينهم وبين عدوهم مسيرة أيام إلى أقاطيع طباء مقبلة من البر، حتى كادت تحالط العسكر، فقال لقحطبة: ناد في الناس بالإسراج والإلجام، وأخذ الأهبة، فتشوف قحطبة فلم ير شيئاً يروعه. فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال: أما ترى الوحش قد أقبلت؟ إن وراءها لجمعاً يكشفها فما تمالك الناس أن يتأهبوا حتى رأوا الطليعة، ولولا علم خالد بالصيد لكان ذلك العسكر قد اصطلم.

وعذل بعض أبناء الملوك في الاستهتار بالصيد، والشغف به، وقيل له أنه هزل وكان أديباً فقال:

ربما أغندو إلى الصيد معي ... فتية هزلهم في الصيد جد

ألفوا الحرب فلما ظفروا ... فتحاملوا أن يعاديهم أحد

واستقام الناس طراً لهم ... فغدوا ليس يرى فيهم أود
وتفاضت عادة الحرب وما ... جمعوه من عتاد وعتد
وجدوا في الصيد منها شيئاً ... فابتغوها في معاناة الطرد
لترى عادتكم جارية ... لهم باقية لا تفنقد

ولما شهد أبو علقمة المري عن د سوار أو غيره من القضاة وقف في قبول شهادته، فقال له أبو علقمة: لم وقفت في
إجازة شهادتي؟ قال: بلغني أنك تلعب بالكلاب والصقور، قال: من خبرك أني ألعب بما فقد أبطل، وإن كان بلغك
أنني أصطاد بما فقد صدق من أبلغك، وأنني أخبرك أني جاد في الاصطياد بما، غير هازل ولا لاعب، فهل وقف مبلغك
على الفرق بين الجد واللعب؟ قال: ما وقف ولا أوقفته عليه، وأجاز شهادته.

ومن فضائل الصيد أنه كان الملك من ملوك فارس إذا حمل على ركوب الصيد دفع أصحابه ركابه سوطه إلى بطانته
وهم خاصته، ودفعته الخاصة إلى الخدم وأدخله الخدم إلى موضع نساته، فناولته إياه امرأة ثيب، وخرج من عندها
وهو بيده، فأما في أوقات ركوبه إلى سائر المواضع غير الصيد والحرب، فيتناول السوط من حيث يركب منه.
وكانت الجوارح تنتصب على كنادرها من ناحية وساده نحو رأسه، والضواري وهي الكلاب والفهود وبنات عرس
من ناحية ممد رجله، والخييل أمامه أو عن يمينه، وكل من شهد معه الصيد حاش عليه العانة والسرب حتى يكون
المكل يتصيدا، ويتصيلوا هم سائر الوحش والسباع، ما لم ينهوا عن ذلك، ولم يكن يرى أن يخلو سمعه من زقاء
جراح ونياح صار وصهيل الخيل، والحان القيان، وطنين الأوتار.

وكانت لبهرام شوبين حظية مفتنة في جميع الآداب، فاقترحت عليه حضور الصيد معه، شغفاً منها به، ونزاعاً إلى
مشاهدة الطرد، فأجابها إلى ذلك، فبينما هي معه إذ عن لهما سرب طباء، وكان بهرام شوبين من جودة الرمي على ما
لم يكن عليه سائر الملوك، فقال لها: أراك مشغوفة بالصيد، مرتاحة إليه، فكيف تحبين أن أرمي هذه الطباء، فقالت
أريد أن تجعل ذكورها إناثاً وإناثها ذكوراً، ففهم كلامها، وقدر أنها توهمت عليه العجز عما التمسته منه، وأنها
حاولت أن تبين من نقصه فتفت في عضده عند من حضره من أهل مملكته، فقال: ما سألت شططاً، ثم رمى النبوس
من الطباء فألقى قرونها فصارت كالإناث، وجعل يرمي كل واحدة من الإناث بسهمين، فيشبهتهما في موضع القرنين،
فنعود كأنها تيس، فلما تم له ذلك على ما طلبته منه عطف عليها فقتلها، خوفاً من أن تسومه بعد ذلك بفضل همتها
وقريحتها، خطة يقصر عنها ففضحه.

وذكر الأصمعي عن الحرث بن مصرف قال: ساب رجلاً بحضرة بعض الملوك، فقال: أيها الملك أنه قتال طباء،
طلاب إماء، مشاء بإقراء، أقعر الآليتين، مقبل النعلين، أفجح الفخذين، مفجح الساقين، فقال له أردت أن تدمه
فمدحته.

الإقراء جمع قري وهو مسيل نمر، وأقعر الآليتين ممتلئهما، مفجح الفخذين متباعد هذه من هذه، وهذا المصرف
يضر مثلاً في طلاب الأمر عليه، وتقسم رأيه في مناجزتهم، فيجعل نفسه كلب صيد، ويجعلهم طباء فيقول:
تفرقت الطباء على خراش ... فما يدري خراش ما يصيد
فيقال إنه من شعره ويقال إنه تمثل به.

ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان فناداه فاستجاب له فقال له: ما اللذة؟ فقال له: كباثر اللذات أربع،
فمن أيها تسأل؟ فقال: صفهن لي، قال: هل تصيدت قط؟ قال: لا، قال فهل لك حظ في السماع والشرب؟ قال:
لا، قال: فهل فاخرت فقخرت أو كاثرت فكثرت؟ قال: لا، قال: فما بقي لك من اللذات؟ وللصيد لذة مشتركة

موجودة في طباع الأمم، وكأئها في سكان البدو والأطراف أقوى لمصاقتهم الوحش ومنزلتهم إيها، فلا تزال تراهم لها ذاكرين، وبها متمثلين، ومنها طاعمين، حتى أن نساءهم ليتصيدن على الخيل، ذكر ذلك بعض الرواة فقال: أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وإذا هم يتذاكرون العُذريين وعشقتهم وصبايتهم فقال عمر: أحدثكم بعض ذلك، أنه كان لي خليل من بني عُذرة وكان مستهتراً بمحدث النساء والصورة إيهن وينشد فيهن، على أنه كان لا عاهر الخلوّة ولا سريع السلوة، وكان يوافي الموسم في كل سنة فإذا أبطأ ترجمت له الأخبار وتوكت له السُّفار حتى يقدم، فذا قدم تحدّثنا حديث عاشقين صبين محزونين، وأنه التاث عليّ ذات سنة خبره، حتى قدم وافد عذرة، فأتيت القوم انشد عن صاحبي، فإذا غلام يتنفس الصعداء ثم قال: اعن أبي المسهر تسأل؟ قلت عنه نشدت، وإياه أردت، قال: هيهات هيهات، أصبح والله أبو المسهر لا مأيساً منه فيهمل ولا مرجواً فيعمل، أصبح والله كما قال الشاعر:

لعمرك ما حيي لأسماء تاركي ... صحيحاً ولا اقضي بها فأموت

قلت: وما الذي به؟ قال: مثل الذي بك من تمالككما في الضلال، وجركما أذيال الخسار كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار، قلت: من أنت يا ابن أخي؟ قال: أنا أخوه، قلت: أما والله ما يمنعك أن تركب طريق أخيك، وتسلك مسلكه إلا أنك وإياه كالواشي والنجاد لا يرقعك ولا ترقهه ثم انطلقت وأنا أقول:

ارائحة حجاج عذرة غدوة ... ولما يرح في القوم جعد بن مهجع

خيلان نشكو ما نلاقي من الهوى ... متى ما يقل اسمع وأن نقلت يسمع

ألا ليت شعري أي شيء أصابه ... في زفرات هجن من بين أضلعي

فلا يبعدنك الله خلاً فأني ... سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي

فلما حججت وقفت في الموضع الذي كنت أنا وهو نقف فيه من عرفات، فإذا إنسان قد أقبل، وقد تغير لونه

وساءت هيئته، فما عرفته إلا بناقته، فأقبل حتى خلف بين اعناقهما واعتنقني، وجعل يبكي، فقلت ما الذي دهاك؟

فقال: برح العذل، طول المطل، ثم أنشأ يقول:

لئن كانت غدوية ذات لب ... لقد علمت بأن الحب دله

ألم تر ويجها تغيير جسمي ... وأني لا يزايلني البكاء

وأني لو تكلفت الذي بي ... لعف الكلم وأنكشف الغطاء

فإن معاشري ورجال قومي ... حتوفهم الصباية واللقاء

إذا العذري مات بحتف انف ... فذاك العبد يكيه الرشاء

فقلت: أبا المهر أئها لساعة عظيمة، وأنك في جميع من أقطار الأرض فلو دعوت كنت قميناً أن تظفر بجانتك، وأن

تنصر على عدوك، فدعا حتى إذا دنت الشمس للغروب وهم الناس بالإفاضة همهم بشيء وأصخت له مستمعاً

فجعل يقول:

يا رب كل غدوة وروحة ... من مُحرم يشكو الضحى وللوحه

أنت حسيب الخطب يوم اللوحه

قلت: وما (يوم) الدوحة؟ قال لي أخبرك إن شاء الله. إني برجل ذو مال ونعم وشاء، وأني خشيت على إبلي التلف،

فأتيت أخوالي كلباً، فأوسعوا لي عن صدر المجلس، وسقوني حمة الماء، وكنت فيهم خير أخوال حتى هممت بموافقة

مالي بماء لهم يقال له الحرات. فركبت فرسي، وعلقت معي شراباً كان أهدها إلي بعض الكلبيين فانطلقت حتى إذا

كنت بين الحمي ومرعى النعم، رفعت لي دوحه عظيمه فقلت: لو نزلت فقعت تحت الشجرة، ثم تروحت مبرداً فنزلت، وشددت فرسي بغصن من أغصانها، ثم جلست تحتها، إذا رجل يطرد مسحلاً واتاناً، فلما قرب مني إذا عليه درع صفراء، وعمامة خز سوداء، وإذا شعرته تال فروع كتفيه، فقلت في نفسي غلام حديث عهد بعرس، اعجلته لذة الصيد، فسي ثوبه وأخذ ثوب امرأته، فما لبث أن لحق المسحل فصرعه ثم ثنى طعنة للأتان، وأقبل وهو يقول: نطعنهم سُلكى ومخلوجة ... كرك لا ميين على نابل

فقلت له: إنك قد تعبت وأتعبت فلو نزلت، فثنى رجله ونزل، فشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة، ثم جلس معي فجعل يحدثني حديثاً ذكرت قول الشاعر:

وإن حديثاً منك لو تبدلينه ... جنى النحل في إعجاز عوذ مطافل

فبينما هو كذلك إذ نكت بالسوط على ثنيتيه فما ملكت نفسي أن قبضت على السوط وقلت: مه فقال: ولم؟ قلت أحاف أن تكسرهما أهما رقيقتان قال: وهل عذبتان ثم رفع عقيرته يتغنى:

إذا قَبِلَ الإنسان آخر يشتهي ... ثناياه لم يَأْتُم وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته ... متاقيل يحو الله عنه بما الوزرا

ثم قال ما هذا الذي تعلقته؟ قلت: شراب هل لك فيه؟ قال: ما أكره منه شيئاً. ثم نظرت إلى عينيه كأنهما مهاة قد أضلت ولداً، وذعرها قانص، فعلم نظري فرفع عقيرته يتغنى:

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلنا ثم لم يحين قتلتنا

فقلت: من أين لك هذا الشعر؟ فقال: وقع رجل منا نحو اليمامة فهو الذي أنشدنيه، ثم ملت لأصلح شيئاً من أمر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه فإذا هو أحسن الناس وجهاً، فقلت: سبحانك اللهم! ما أعظم قدرتك، وأحسن صنعك، قال: وكيف قلت ذلك؟ قلت: لما راعني من نور وجهك، وبهرني من جمالك، قال: وما الذي

يروحك من زرق اللواب، وحييس التراب، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أو يتتس. قلت: بل لا يصنع الله بك إلا خيراً إن شاء الله، ثم قام إلى فرسه، فلما أقبل برقت لي بارقة من الدرع فإذا ثدي كأنه حق فقلت: نشدتك الله أنت رجل أو امرأة؟ فقال أبي والله امرأة تكره العهر وتحب العزل، قلت: وأنا والله كذلك، فجلست تحدثني ما أفقد من

أنسها شيئاً، حتى مالت على الدوحه سكرأ، فاستحسنت والله يا ابن أبي ربيعة الغدر، وزُين في عيني، ثم أن الله عصمني فجلست منها حجرة فما لبثت أن انتبهت مذعورة، فلانث عمامتها رأسها وأخذت الرمح، وحالت في متن فرسها، فقلت لها: ولما تزوديني منك زاداً، فأعطيتي بناهما فشممت منها والله كالسياب المطور ثم قلت: أين الموعد؟

قالت إن لي أخوة شرساً، وأباً غيوراً، ولأن أسرك أحب إلي من أن أضرك، ثم مضت فكان والله آخر العهد منها إلى يومي هذا. فهي والله التي بلغتني هذا المبلغ. قلت: والله يا أبا مسهر ما استحسنت الغدر إلا بك، فاحضلت لحيته

بدموعه باكياً، قلت: والله ما قلت لك إلا مازحاً، ودخلتني له رقة فما انقضى الموسم، شددت على ناقتي، وحملت غلاماً على بعير وجعلت عليه قبة آدم حمراء، كانت لأبي عبد الله، وأخذت معي ألف دينار ومطرف خز ثم خرجنا حتى أتينا كلباً، فإذا الشيخ أبو الجارية في نادي قومه، فأتيته فسلمت عليه، فقال: وعليك السلام من أنت؟

فانتسبت له فقال: المعروف غير المنكر، ما الذي جاء بك! قلت: جئتك خاطباً؟ قال: أنت الكفي لا يرغب عن حسبه، والرجل لا يرد عن حاجته. قلت: إني لم آتك في نفسي، وإن كنت موضع الرغبة ولكن لابن أختكم

العذري، فقال: والله أنه لكفي الحسب، كريم المنصب. غير أن بناتي لا يقعن إلا في هذا الحمي من قريش، قال: فعرف الجرع في وجهي، فقال: أما أنا فأصنع بك ما لا أصنعه بغيرك، أخبرها فهي وما اختارت، فقلت: والله ما أنصفتني،

فقال: وكيف ذلك؟ قلت: تختار لغيري. ووليت الخيار لي غيرك، فأومى إليّ صاحبي أن دعه يخبرها، فأرسل إليها بالخيار، وقال: رأيك؟ فقالت ما كنت لأستبد برأي دون رأي القرشي وما أختار، قال: قد صيرت إليك الأمر قال: فحمدت الله جل ذكره، وصليت على محمد صلى الله عليه وقلت: قد زوجتها الجعد بن مهجع، وأصدقنيها هذا الألف دينار، وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبّة، وكسوت الشيخ المطرف الخزّ، ولم أبرح حتى بنى عليها وانصرفت أقول:

كفيتُ أخي العذري ما كان نابه ... ومثلي لأتقال النوايب يحمل

وربما ألت السحاب وجرت الأودية، وتتابع السيل، وتلجت الصحراء حتى يعم ذلك معاقل الأروى. وكناس الأطباء، ومرابض المها، ومفاحص القطا، ومسالك الطير من الهواء، فتلجأ الصوار والسرب والعانة والرعيّل والرف إلى العمارة فتؤخذ قبضاً وتكون حالها في استسلامها وضعف من يقدر عليها في تلك الصورة كقول علي بن الجهم في وصف غيث:

وحتى رأينا الطير في جنباتها ... تكاد أكف الغايات تصيدها

ولا يكون لصيدها ذلك الموقع، على أن ناساً قد أمكنهم مثل ذلك فرأوا تركه، وقالوا إنما لجأت إلينا، وعادت بجوارنا فتؤمنها ولا نروعها، ولا نجور عليها، وفعل مثل ذلك مجير الجراد، وأسمه حارثة بن حنبل من طيء، وكان الجراد قد وقع في أرضه فبدأ بالوقوف حول خبائه، فخرج أهل الحي ليصيده، فركب فرسه وأشرع إليهم صدر قتاته، وقال ما كنت لأمكنكم من جاري، وفخر بذلك قومه، فقال هلال بن معاوية التغلبي:

ومنا الكريم أبو حنبل ... أجار من الناس رجل الجراد

وزيد لنا والناحاتم ... غياث الورى في السنين الشداد

وفعل مثله رجل من بني عبد الله بن كلاب يقال له همام وبات بأرض خلاء ليس معه أحد، فأوقد ناراً وكان صاد صيداً، فلما رأى الذئب النار أتاها، وذلك من شأنه إذا رأى النار، فلما قرب الذئب منه وهو غرّثان أقبل يقرش ما يرميه همام من العظام ولا يراه، فلما تبينه رمى إليه بقية صيده ولم يره، وأنشأ يقول:

يا رب ذئب باسل مقدم ... منجرد في الليل والإظلام

عاود أكل الشاء والأنعام ... قد ضافني في الليل ذي التمام

في ليلة دانية الارزام ... يقرش ما ألقى من العظام

فبات في أمني وفي ذممي ... مستدفناً من لب الضرام

آثرته بالقسم من طعامي ... ولا يخف نبلي ولا سهامي

ولو أتى غيري من الأقوام ... من اللثام لا من الكرام

إذن للاقى عاجل الحمام

وأخبرني من وثقت بصدقه عن رجل من جلة أهل همدان، أن الثلج كثر في ضياعه حتى لجأت إليها عانات كثيرة، فأخذها وكلاؤها ولم يجدوا فيها حدثاً، وكتبوا إليه يخبرها، فكتب إليهم أن أقيموا لها قضيماً وعلفاً إلى أن ينحسر الثلج، فإذا انحسر الثلج فخلوا سبيلها، واحموها حتى تصل إلى ابعده موضع من العمارة ففعلوا ذلك.

وتلجأ أيضاً إلى الأنس والعمارة إذا أجدبت السنة وعلمت الكلاً، وذكر هذا المعنى إبراهيم الموصلي في قوله يرثي أخاه إسماعيل بن جامع المغني فقال:

وإني وإسماعيل يوم فراقه ... لكالغمد يوم الروع فراقه النصل

فإن اغشَ قوماً بعده أو أزرهم ... فكالوحشِ يدينها من الأتسِ الخُلُ
يذكرُ نيكَ الخيرِ والشرِّ والقي ... وقول الخنا والحلم والعلم والجهلُ
فألقاك عن مذمومها متنزهاً ... وألقاك في محمودها ولك الفضلُ
وقد زعم قوم أن هذا الشعر لمسلم بن الوليد الأنصاري. ومثله لآخر:
تخرم الدهرُ إشكالي فأفردني ... منهم وكنْتُ أراهم خيرَ جَلاسِ
وصرتُ اصحبُ قوماً لا إشاكلهم ... والوحشُ تأنسُ عند الخل بالناسِ
وأخبرني مخبر عن أبي العباس بن الداية عن المعتصم أنه أوغل يوماً في الصيد وحده، فبصر بقانص يصيد ظباً
فاستدناه وقال: حدثني اعجب ما رأيت في صيدك فقال: خربقت المشارع التي تردها الطباء، فلما شمت الخربق
صدرت عطاشاً، ثم عات من غدٍ، فانصرفت أيضاً عطاشاً، ثم عادت في اليوم الثالث بأجمعها، فلما جهدها العطش
رفعت رؤوسها إلى السماء فأثاها الغيث فما انصرفت حتى رويت وخاصت في الماء.
وذكرت العلماء بطباع الحيوان أن الوحش ربما انحازت إلى العمران عن مواضعها من الجبال والبر في الفصل الذي
يتصل بفصل الشتاء فيستدل بذلك أهل البلدان على قوة شتاء تلك السنة وشدة برده وتلجه، لأنها تحس في الجبال
بتغير الهواء، وبردٍ شديدٍ، فتستدل بذلك على ما بعده من قوة البرد، وتخاف الهلاك فتلجأ إلى العمارة.
؟

باب

من كان مستهتراً بالصيد من الأشراف
إسماعيل بن إبراهيم النبي صلى الله عليهما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وقد رتب الأنصار فنصب خمسين
رجلاً منهم في وادٍ وقال ارموا يا بني إسماعيل فقد كان أبوكم رامياً، وكان إسماعيل عليه السلام مولعاً بالقنص محباً
له، متعباً نفسه فيه، مباشراً لعمل آلات الرمي، ولقد قصده أبوه إبراهيم عليه السلام زائراً لينظر إليه فلم يجده
بمحلته لشغله بالقنص.

وحمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه، وكان من النجدة على ما خصه الله عز وجل به، حتى قيل له أسد الله،
وكان إسلامه عند منصرفه من صيد، وعلى يده صقر، وجاء في الحديث أن حمزة كان صاحب قنص فرجع يوماً من
صيده فقالت له امرأة كانت رأت ما نال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله من أذى أبي جهل: يا أبا عمارة لو
رأيت ما صنع أبو الحكم اليوم بابن أخيك، فمضى على حاله، وهو متعلق قوسه في عنقه، حتى دخل المسجد، فألقى
أبا جهل فعلا رأسه بقوسه فشججه، ثم قال حمزة: ديني دين محمد أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وعدي بن حاتم طيء وعنه الأحاديث المأثورة في محرم الصيد ومحلله لأنه كان يكثُر مسألة النبي صلى الله عليه عما
يعانيه من ذلك.

وقال بعض من عُذِل في مداومة الصيد:

عذلتني على الطراد وقبلي ... حمزة من اراغة الصيد راحا
كاسراً صقره عليه ظباً ... سائحاتٍ كفى عليها الجناحا
فابتغى ملة النبي وقد كا ... ن رأى فيه قبل ذلك جماحا

ورمى هامة اللعين أبي جه ... ل بقوس فشججه إيضاها

وعدي بن حاتم اسمح الخل ... ق إلى الصيد لم يزل مرتاها

إما الصيد همة ونشاط ... يُعقب الجسم صحة وصلاحا

ورجاء ينال فيه سرورا ... حين يلقي إصابة ونجاها

ومن خلفاء بني العباس كان أبو العباس السفاح شديد اللهج بالصيد، ناشئا ومكتهلا، ومن أخباره أنه خرج يوماً متنزهاً نحو الخورنق في يوم من أيام الربيع، ومعه دهم من أهل بيته، وجماعة من خاصته ومواليه فيسط هناك ودعا بغداده وحضر مائدته عمومته وأبو جعفر المنصور. فبينما هم كذلك يتضحكون ويأكلون، إذ طلع عليهم أعرابي فوقف بازائهم فسلم عليهم بإشارة، فأشار إليه أبو العباس فاستدناه فدنا وقرب منه، فقال له: ادن فأصب من طعامنا فجتنا على ركبتيه بعد أن سلم فأكل أكل جائع منهوم مفرور، فلما انتهى اقبل على أبي العباس فقال: بأبي أنت وأمي يا حسن الوجه، انتسب إليّ أعرفك، فتبسّم، ثم قال: رجل من اليمن من عبد المدان، قال: أنت والله شريف، ولكني أشرف منك، قال أبو العباس: فانتسب إليه أعرفك، قال: بيت قيس من بني عامر. قال أبو العباس: شريف إلا أنني اشرف منك، قال: كلاً ما بنو الحرث أشرف من بني عامر إلا أن تكون عارضتني في نسبك، قال: ما عارضتك وأهم لأحد طرفي، قال: فممن أنت؟ قال: من بني هاشم، قال: رهط رسول الله صلى الله عليه، قال: نعم قال: شريف والله الذي لا إله إلا هو، فما قرابة ما بينك وبين هذا الملك، يعني أبا العباس، قال: قريبه. قال: بأبي أنت وأمي أهو الحُميمي؟ قال: هو هو قال: فاكم عليّ حديثاً أحدث به عنه، قال: أكم عليك، قال: رأيتته وهو غليم يقعد يرمي في غرض بالحُميمة، فيجمع بين نبله في مثل راحتي هذه، ثم ينصرف عن غرضه، فيمر بالطائر فيصرعه بسهمه فما يملك حتى يذبحه بسيفه، ويقطعه ويضرم ناراً أو يستعير نار ملة قد أضرمرميها أضررها أهلها لغدائهم فيرمي بصيده عليها، ويرمي بطرفه إليها لئلا يغلبه أحد على ما فيها، ثم يأكله نتفاً بريشه، مع شظية من لحمه، حتى يأتي على ما فيه ما يشركه فيه عشير ولا خليل. فصاح به داود بن علي: اسكت فض الله ناجذك، إنما تخاطب أمير المؤمنين. فقال أبو العباس لداود: يا عم ما هذه المعاشرة؟ رجل تكلم عن الأنس والانبساط، وقد تحرم بنا، ولزمتنا ذمامه، فأرعبته، وأوهنت متنه، وقطعت حديثه، تكلم يا فتى! فلما سمع ما قال داود قال: وكنت أرى في هذا الفتى أمارات خير تدل على أنه سيملك ما بين لابتيها قال وما هي قال: لين الجانب، والصفح عن الجاهل، والبذل للناتل، مع مركبة الكريم، وموضعه من النبوة، فضحك أبو العباس حتى فحص الأرض برجليه وضحك أهل بيته وأمر له بألف دينار وكساه وحمله.

وركب المنصور يوماً في صدره مُشَهَّرَةً مشمراً من ذيله، وعلى يده بازي حتى عبر الجسر بادياً، وانكفى فعبّر الآخر راجعاً، وتبينه الناس فلما عاد واستقر به مجلسه قال للربيع: ما الناس في ركوب أمير المؤمنين على هذه الحال، قال: عجبوا منها قال: إنه كان لأمر المؤمنين في ذلك مذهب، وهو أنه سيأتي من أبنائنا من يجب الصيد ويتبذل فيه، فأحببت أن يكون مني ما رأيت فمتى فعل مثله منا فاعل بعدي قال الناس: قد ركب المنصور على مثل هذه الصورة.

وكان المهدي محمد بن عبد الله مع ما كان فيه من الحذر والتحفظ والبعد من التبذل مشغولاً بالصيد لا يكاد يُعْبَهُ، وكان مع ذلك مجدوداً فيه لا يحرم، ذكر ذلك بعض شعرائه في كلمة قال فيها:

يغدو الإمام إذا غدا ... للصيد ميمون التقيبة

فتؤوب ظافرة جوا ... رحه واكله الأريبه

بمخالب وبرائن ... بدماء ما اقتنصت خضيبه

وسهامه لو حوشه ... والطير قاصدة مصيبه

وكأنا عرفته فاتق ... ادت لدعوته مجيبه

وكان للرشيده حظ من الصيد لا كمدامه المهدي له، واستهتاره به، وكان يرتاح له إذا حضره ارتياحاً شديداً، حتى تحمله الأريحية على ركض فرسه، والشد في أثر الطريدة.

أخبرني بعض ولد عبد الملك صالح الهاشمي عن أبيه عن جده عن عبد الملك قال: كنت احضر مع الرشيد الطرد كثيراً، فحضرت معه يوماً ومعنا حسين الخادم، وكانت الحال بيني وبينه منفرجة، ولا يزال يتبع هفواقي، ويعري بي الرشيد، فأراغت الكلاب طريدة وأطلقت عليها، وأعطى الرشيد فرسه عنانه ومرّ يشد في طلبها ولم أتبعه، ولا زدت في عنان فرسي، فرأى ذلك حسين مني فاهتبه وأسرع إلى الرشيد فقال: لو زاد عبد الملك بن صالح في عنان فرسه حتى يلحق بأمر المؤمنين لم يكن بذلك من بأس فقال الرشيد: استجهلنا أبو عبد الرحمن، ولم ير مساعدتنا على ما نحن فيه، قال: قد فعل ذلك فأمسك الرشيد فضل عنانه متوقفاً عليّ حتى قربت منه، فعاتبني على ما أنكره، فقلت: يا أمير المؤمنين العذر واضح. قال: وما هو؟ قلت: أنا على فرس لا أتق به قال: عذر، وأمر لي بجنيبة فركبتها وتسايرونا غير بعيد، إلى أن أثرت طريدة أخرى ففعل كفعله الأول، ولزمت حالي الأولى، فأشدت إنكاره وتلوّ معليّ فلحقته، فقال: أقلنا العلة فما استقيلت الرلة، فقلت: يا أمير المؤمنين إذا كنت لا أتق بفرسي وقد بلوته، فأنا بما لم أبله أقل ثقة، فقال: لا ولكن السكينة والوقار افرطاً على أبي عبد الرحمن، وكان هذا بعض ما احفظه عليّ. وتوختي أبو نواس في تشبيب قصيدته التي أولها:

خلق الزمان وشريّ لم تخلق ... ورُميت عن غرض الشباب بأفوق

ولقد غلوتُ بدستبان مُعلم ... صخب الجلاجل في الوظيف مسق

حرّ صنعاه لتُحكّم كفه ... عمل الرفيقة واستلاب الأخرق

يجلو القذى بعقيقتين اكتنتا ... بذرى سليم الجفن غير محرق

ألقي زآبره وأخلف بزة ... كانت ذخيرة صانع متوق

فكأنه متدرع دياجةً ... عن قالص التبان غير مسوق

فترى الأوز قريب خطو مشيع ... غرثان منبسط الشواكل بورق

يعتام جلتها ويقصر شأوها ... بمؤنّف شاكي الشباه مذلق

حتى رفعا قدرنا برغامها ... واللحم بين مردّم وموشق

فأفتنحها بذكر الصيد وصفة الجارح، هزاً منه بذلك، وبعناً من أريحيته لما يعلمه من رأيه في الصيد، وموقعه من قلبه.

والرغام التراب بالفتح ومنه أرغم الله أنفه أي ألصقه بالتراب.

وكان محمد الأمين أشدّ انهماكاً في الصيد وأحرص عليه من كل من تقدمه. وأكثر طرد أبي نواس معمول في جوارح محمد وضواريه مثل قوله:

فأمتع الله به الأميرا ... ربي ولا زال به مسرورا

ثم كان المعتصم أكثرهم محالفة للصيد، وأخفهم فيه ركاباً لتوفر همته على الفروسية وما شاكلها، ودخل في باهما، وأكثر مباشرة ذلك بنفسه.

ثم كان المعتضد كالمعتصم في أكثر أموره ومآربه، وأشبهه به من سائر أهل بيته وبنيه من الخلفاء لمباشرة الحرب

والصيد وما أشبههما، ولم يكن يفك من حرب إلا إلى صيد، ولا من صيد إلا إلى حرب، وكان يخرج لصيد الأسد، فيخيم عليها حتى لا يبقى منها باقية، أخبر عنه نجبة ابن علي نديمه قال: كان يقول كثيراً لما بني (الثرى) أتعلم أن بناءً من ابنية الخلفاء يشبه هذا البناء أو يعادله في محل أو موقع؟ أما تراني قاعداً على سريري، يعرض عليّ وزيري، ويصاد بين يدي صيد البر والبحر، وكأني في وسط المتصيد. وما أشبه ما وقع له من ذلك إلا بقول القائل:

يا حبذا السطح سفتح المرج والوادي ... وحبذا أهله من رائج غادي
ترقي فرايره والعيس واقفة ... والضب والنون والملاح والحادي

ولي في نحو هذا المعنى، وكنا نخرج للصيد بمصر في موضع يعرف بدير القصير، منيف على ذروة جبل المقطم، مطل على النيل، فهو سهلي جبلي بحري:

سلام على دير القَصِيرِ وسفحه ... فجَنَّت حلوان إلى التخلاتِ
منازل كانت لي بمن مآرب ... وكن مواخيري ومنتزهاتي
إذا جنتها كان الجياد مراكي ... ومنصر في في السفن منحدرات
فأقنص بالأسحار وحشيّ عينها ... واقتنص الأنسي في الظلمات
معي كل بسام أغر مهذب ... على كل ما يهوى النديم مؤاتي
ولُحمان مما امسكنه كلابنا ... علينا ومما صيد بالشبكات
وكأس وباريق ونادي ومزهر ... وساق غرير فاطر اللحظات
كأن قضيب البان عند اهتزازه ... تعلم من أعطافه الحركات
هنالك تصفو لي مشارب لذتي ... وتصحب أيام السرور حياتي

ولم يتأخر المكتفي عن (مثل) مذهبه في الصيد، إلا أنه كان أكثر ما يلمنه الصيد بالفهد والعقاب، هما سبعا الضواري والجوارح، وبيأشر ذلك بنفسه، ويمتحنها فيه، لشدة الشغف به والارتياح إليه، أخبرني بذلك شهرام وكان خصيصاً به لمعرفته وحسن أدبه. وأخبرني بمثله أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. وأخبرني من رآه بظاهر إنطاكية منصرفة مع المعتضد عند أخذه وصيفاً الخادم والقهد رديفه، وقد التمسه أهلها، للسلام عليه بعد تسليمهم على أبيه، فوجدوه على تلك الحال غير محتشم (منها وانصرفت عنايته إلى الخيل) وكان جمعها واقتاؤها (ومداومة ركوبها) أكبر همة ولذته، ولم يشغف بالصيد ذلك الشغف.

صفة البواشق

وذكر ألوانها وشياتها وأوزانها وصفة الفاره منها

فالأحمر الأسود الظهر جيد صبور على الكد، والأحمر الظهر والبطن رخو ماله جلد، والأخضر العريض القطب صلب على المواكب. ومنها الأخضر المبرديّ الشية والاسبهرج الذي يشبه لون البزاة، ومنها الأصفر. وأكثر ما رأيناه من أوزانها مائة وثلاثون درهماً وأقله خمسة وتسعون درهماً، وما رأينا منها كبيراً فارهاً والفااره منها الأوسط، وهو أفره ما رأيناه ولعبنا به، ولم نصف ما للناس، وإنما ما عندنا وفي ملكنا وصدنا به.

في ضراة الباشق وفراسته

وما يصيد من الطرائد المعجزة التي هي من صيد البازي، وذكر علاجات البواشق وعللها وما خلص منها من العلل وأنجب، وذكر القرنصة وذكر ما عاش عندي منها بالقاهرة حرسها الله، وذكر ما تحتاج إليه في القرنصة من الخدمة، وذكر السبب الذي استحقت عندي به التقديمية على البزاة إذ كان مؤلفو الكتب يقدمون البازي على سائر الجوارح

صفة ضراة الباشق وهو وحشي

يحتاج الباشق إلى أن يكون على يد رفيق من البيازرة يعرف ما يعمل به، وهو أن يخطط عينيه إلى أن يكلب على الطعام، ومقدار ذلك سبعة أيام، ومنها ما يكون كلبه على الطعام في أكثر من هذه المدة وأقل منها، لأنها ليست بطبع واحد، ولتكن حملته في موضع منفرد حتى يهدي فإذا هدي على اليد، وكلب كلباً تاماً كاملاً على الطعام، فأفصحه وأطعمه في بيت خال، فإذا كان وقت تعبيره وعبر، فاجعله في قباء واتركه في قبضت، واقعد به بين الناس، وأقمه على يدك ساعة، فإذا وثب ثوباً خشيت أن ينخلع منه، فأردده إلى القباء، والزم به الرفق، كما وصيناك، فأنتك تأمن عليه أن ينخلع، وأن تخرج فخذاه، ثم لا تزال على ذلك إلى أن تجرده، فإذا بلغ التجريد فأركب به الدابة واستجبه إليها مراراً كثيرة من النخل والأرض وسائر المواضع، فإذا لم يبق عليك من أجابته شيء على ما وصفنا، فخذ له من طير الماء الغرافير ولقغه إياها، فإذا لقفها فخذ واحدة وخط عينها بريشة من جناحها وطبها، فإذا أخذها وعرفها، فأقعد غلاماً في خليج، ومعه فرفوراة. وليكن الغلام مستتراً عنك وأنت على حافة الخليج راكب، والباشق على يدك، والطلب بين يديك، وتقدم إلى من معه الفرفوراة أن يطيرها عند نقرك الطلب، ثم أنقر الطلب فإذا طيرها وأخذها الباشق فأذبحها في كفه، وأشبعه عليها، فإذا عملت به ذلك مراراً وأخذها، ولم يقف عنها، فأركب إلى الصحراء ومعك الباشق، ولتكن معك طيرة ماء، وأنظر موضعاً فيه طير ماء، فأرسل الباشق عليها، فإذا صاد فأشبعه، وإن لم يجسن عليها فأخرج له طيرة الماء التي معك، وارمها له وأذبحها في رجله، وأشبعه عليها، فأنتك إذا عملت به ذلك مرة أو مرتين، صاد بمشيئته الله، فإذا صاد فأشبعه، فإذا أشبعته أربعاً أو خمس مرار، فصر به إلى الماء، وأطلب ما توسط من طير الماء، فإن صاد فأشبعه وعد به في اليوم الثاني، وانظر به العشية، واطلب به ما كبر من طير الماء مثل الأخصر وأنتاه، ومثل المذنب وأنتاه، والدراج وأنتاه، فإنه يصيد بعون الله، فإذا بلغت به إلى ذلك فما بقي عليك من ضراوته شيء. وهذه صفة الضراة على طير الماء. فإذا فرغ طير الماء وكان آخر السنة، وكان الباشق فرحاً، وأحببت قرنصته، فأفعل، وأن أحببت أن تطلب به الحمام ويصيده تسليقاً فأعمد إلى حمام فأشدد رجله بطؤالة وأقمه على حائط قصير وكن تحت الحائط، وعلى يدك الباشق، وأمر غلامك بجر الخيط الذي في رجل الحمام ليتحرك فيراه الباشق، فإذا نظره الباشق فأرسله عليه، فإذا أخذه فأشبعه عليه، ثم نقله من ذلك الحائط إلى ما هو أعلى منه قليلاً، ونقله من حائط إلى آخر، وكلما أخذ حماماً فأذبحه في كفه وأشبعه منه، فإنك إذا فعلت ذلك به ورأى حماماً على حائط واثبه، ولا ترسله على حمام واقع في الأرض، فإن ذلك يفسده ولا سيما إذا كان للتسليق مفرداً وقرنصه وإن كان مقرنصاً وارتدت أن تنقله إلى الغربان السود فأطلب منها واحداً وأكسره له، وبادر بقصّ محاليبه، وخزم منقاره، لتلا ينقر الباشق وأشبعه عليه وأطلب به الغربان، وليكن معك غراب في الخريطة، فإن صاد شيئاً فأشبعه عليه، وأن أحسن عليه فأذبح الغراب الذي معك في رجله، واعمل على ما وصفنا، فإنه يصيد إن شاء الله.

وزعم اللعاب أن الباشق ما يصيد الغراب بكسيرة وقد كسرنا له مراراً كثيرة، وصاد الغراب بالكسائر، ولم نصف إلا ما صدنا به على أيدينا مراراً كثيرة، وكان لمولانا صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبائه الاكرمين. ولقد رأيت له وأنا معه صلى الله عليه في الموكب في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ثلاثة عشر باشقاً تصيد كلها الغراب السود والبقع والبيضانيات والمكاحل، وهذا عظيم لم يسمع بمثله.

ذكر

الضراء على البيضاني والمكحل

إذا أردت أن يصيد الباشق البيضاني والمكحل فأعمد إلى بيضاني أو مكحل وأشبعه عليه، فإن أعوزك البيضاني فأكسر له على حمام أبيض فإذا أخذه أخذاً جيداً، وأحكم ذلك مراراً، فأخرج به إلى الصحراء. وليكن معك في الخريطة بيضاني أو مكحل، فإن صاد شيئاً فأشبعه عليه، وأن أحسن فأرم له الذي معك وأشبعه عليه، فإنه يصيد بعد أن تطول روحك عليه قليلاً إن شاء الله.

وقد رأيت من فراهة البواشق ما لم أر مثله قط، فمنها باشق أحمر كبير ما رأيت مثله قط، ولا مثل ما جمع من الطرائد، وذلك أنه صاد في سنته ما لم يكن من صيد البواشق، ولا صاده قبله باشق، وبعيد أن يصيده باشق بعده، لأنه صاد أول سنته أثنى الأخضر، وما كان خرج قبل ذلك إلى الصحراء، وثنى بالأخضر الذكر، ووزناه بعد إخراج قلبه فوجدنا فيه ثلاثة أرتال ونصف، وهو أكبر أخضر رأيناه، وفيها ما يكون أقل من ذلك، ولم يبق من طير الماء شيء إلا صاده ثم صاد في سنته بعد ذلك الموكب بيضانياً وكان يتجاوز الصفة في حسنه، وصاد الغراب السود وصاد بعد ذلك طلقاً لم ير مثله قط ولا سُمع به.

وذلك أنا ركبنا إلى الحيزة فانتبهنا إلى موضع يعرف بكوم الدب، وفيه بركة كبيرة، وفيها غرٌّ كثير، فأرسلت عليها الشواهين، وتكئى بعض من كان معنا، وكان على يده شاهين له، فزَعق علينا صاحب الشاهين فأمرت أن تُطير الغرّ، فجازت بي واحدة عراضاً في السماء، فرميتها عليها وزعقت حتى أبصره كل من حضر الموكب فصادها، وكان بين المكان الذي أرسل عليها، والمكان الذي ذبحت في كفه نحو أربعمئة ذراع، فأشبع وفُرِنصَ وعلا أمره على الغرّ وغيرها من الطرائد المقدم ذكرها في كتابنا هذا.

ومن فُرهِ البواشق ثلاثة لم يسمع بمثله قط ولا رُوي، فُرِنصت عند مولانا صلى الله عليه، فواحد له أربع سنين، واثنان لهما من المدة دون ذلك، فمنها واد يصيد الأخضر والغراب السود والبقع ما تغير عن فراهة على ما وصفنا من ذكره، واثنان يصيدان الغراب السود والبقع في الشتاء والصيف جميعاً، وهذا عظيم لأن الغراب إنما يصاد آخر السنة عند هياجه وهو وقت الرجوع، والمصريون يسمون ذلك الشهر أمشير، وهذا ما لم يسمع بمثله في صيد البواشق، لا في كتاب ولا من إنسان.

وكان لنا باشق وحشي فكسرنا له الغراب إلى أن أتجه عليه، وخرجنا به إلى الصحراء، فكان أول طلقه غراباً أبقع فوق حائط، وهذا عظيم من باشق يصيد ابتداءً غراباً فوق حائط، ولم أر مثله إلا باشقاً كان لمولانا صلوات الله عليه، فإنه أمرني في بعض الليالي أن أشبعه وشغل هو صلى الله عليه بطير الماء عنه، فأخذته ورجعت، لأطلب به الغراب البقع، فأصبت واحداً بستان قائماً، فرميته عليه فصاده، بعد أن عمل عليه ما لا تعلمه الاجلام بالفقاق من المراوغة وحسن الطلق. وما رأيت قط افره منه على الغراب البقع، وكان ذلك عند مغيب الشمس وقد ذكرنا

كيف يُضري من أول الوقت الذي يؤخذ فيه إلى أن يبلغ هذا المبلغ. وإنه كان لنا باشق يعرف باشق ابن حوفيه، وكان يكون على يد أمير المؤمنين صلى الله عليه، وهو يتحدث في موكبه، فكان بعض البيازرة يصيح وقد طار طير الماء، اعني الفرافير، فيرمي بالباشق، وما هو مستو للإرسال، فيصعد معها أبداً في السماء حتى يحملها، وهذا ما لم ير مثله قط على الفرافير. ومن إطلاقه المعجزة أن مولانا صلى الله عليه رأى ليلةً فرافير في بركة فأراها للباشق ثم ستره عنها، وأنزله بعد ذلك فجاء الباشق فوقف على الأرض لما ضلت منه، فقال صلى الله عليه أريكم شيئاً مليحاً، وضربنا الطبول فقلع الباشق رجله من الأرض، وصاد منها واحدة، وهذا ما لم أر مثله من باشق كان لي يصيد البيضانيات، بعد أن حكم اللعاب أنه لا يجيء منه شيء، فلما كان في بعض الأيام تعدّر عليّ البيضانيات فأرسلته على طير الماء فلم يصيد منها شيئاً، ووقف على نخلة تحتها بركة فيها ماء، ففتحنا عن البركة وبقي بازياره يدعو ليأخذه إلى يده، فجاز به طير ماء من السماء، ليقع في البركة مدلاةً الأرجل، فلما رآها الباشق تطلب الماء على هذه الحال طمع فيها، وقلع رجله فصاد أثنائه أبلق قبل أن تصل إلى الأرض. وهذا ما لم أر مثله ولا سمعت. ونحن نذكر ما يكون من التياثها وعلاجها وكل ما يعرض من أسقامها ونشرحه مبيّناً حتى تأتي مثل الأول من أخبار صحتها وأيام سلامتها.

وقد كان عندي باشق حوام، أي وقت أخطأ حام فلقب بالحوام، وكان على الحذف فارهاً وعلى البلق، ثم آل أمره إلى أن خرجت به يوماً إلى الصيد وكان في بركة شاهمرك لطيف، فأريته إياه وسترته عنه ورميت به عليه، وضربت له الطبل فقام إلى السماء فحمله، فذبحته في كفه ودمت على الصيد به، فصاد في ذلك اليوم إلى آخر النهار أربع بيضانيات ومكحلاً وأبلق من طير الماء، فأنسيته ما كان قد ألفه من الحومان حتى أنه كان إذا أخطأ أستقر في الأرض. وذلك أنني بطلته سنة كاملة حتى أنسي ذلك، وكان إذا أخطأ وقعد في الأرض أشبعته. فألف ذلك ونسي عادته الأولى. ومن ههنا قدمت البواشق على البزاة. وكان عندي باشق يصيد العجاج وهو من صيد الشاهين، فما كانت هذه منزلته في الصيد على لطافته، كيف يتقدم عليه شيء من الجوارح.

ولقد رأيت باشقاً أحمر صاد جنطة (كذا) ولم أر غيره صادها ولا رأيته صاد غيرها، وهذه منزلة للباشق عظيمة. وكان عندي باشق اسمه مدلل، قرنصته عندي سنة فلم يخرج نقياً، وصاد في السنة صيداً ليس بالطائل، ودخل القرنصة. وكاد أن يكون في السنة الثانية مثل المقدم ذكرها حتى لبت عليه بدهن المعقود والشيرج الطري، فلما أطعم ما وصفنا من العلاج ولأن عليه بدنه تُنف منه بدنه وذنبه، وأطعم العصافير والمخاليف الطرية، ومن البشتمازك ومعه شيء من الدهن المذكور، فخرج نقياً حسناً، وكان افره من كل باشق قرنص معه في بيته، وكان من الفراهة على طير الماء بما لم يكن غيره. وصاد الغربان السود وكان تضرب له الطبول كما يعمل به على طير الماء، فلا يرجع عنها، ولم أره قط يرجع عن طريدة يرسل عليها وأقام على ما ذكرناه سنين مبقية الفراهة ونحن نذكر ما نعرفه من البواشق القره وما جرى مجراها إن شاء الله.

ولقد كان عندي باشق فاره على كل طريدة، وذلك أنه كان يصيد من البحريات أحمر، وتسمى السقرون، ثلاثة وما أصاب من قليل وكثير على مقدار ما يستوي له صاده، وكان موكباً من فراهته وأول ما صاد عندي الغراب الأسود بكسيرة، ثم بعد ذلك كنت أقف على كوم عين شمس وتطير من بركة الكوم الغرّ، فأرسله عليها فلا يرجع عنها، وأقام على ذلك سنين لم يتغير من فراهته شيء، حتى دخل بعد أربع سنين القرنصة، فأصابته في السنة الخامسة

في وسط القرنصة على لا يعرف لها علاج تسمى الذَّبَّاح، في حلقة تمنع ما يدخل فيه وما يخرج منه، ولا يقدر على إلقاء الرمح حتى يموت ولم يلبث الطير أكثر من بكرة إلى عشية أو من بكرة، ثم أنه مات في المدة التي ذكرناها فشققنا حلقة فوجدنا فيه غدة مفترشة بقدر الترمسة أو أصغر منها بيسير فإذا دخلت إلى جارحك في القرنصة، ورأيت وجهه محولا إلى الحائط وأدرته إليك، وخليته فرجع إلى الحائط، وعملت به ذلك مراراً، فلم يزدك على هروبه من وجهك إلى الحائط، فما فيه شيء من العلاج فلا تشغل نفسك به. ولقد أصاب عندي كثيراً من الجوارح هذه العلة، فما عرف لها علاج، ولقد أصابت هذه العلة عندنا باشقاً أحمر فرجونا أن يكون له في شق حلقة البر، فشققناه من خارجه برأس مبيض عند الاياس منه فلم ينفعه ذلك، ولم يلبث حتى مات، وما رأينا هذه العلة في غير القرنصة قط، ثم انقطعت منذ سنين، ولم نرها بعد ما قدمنا ذكره، ولا سمعنا من يقول أنه رأى مثلها قط، ولا سمع بها، ولا يدري أي شيء هي. وأصعب ما رأيناه من علل القرنصة قد شرحناه، ونحن نشرح ما يحتاج إليه الجراح من الرفق في القرنصة ونذكر علاجه السالم والقاتل.

صفة علاج القرنصة

وذكر ما يحتاج إليه من آلتها

إذا كان الباشق فرخاً وخرج عند طير الماء وأردت أن تصيد به السمانى فأفعل، فإذا فرغ من السمانى فأطلب به الأبرجة وصد به الحمام وأن كنت تقدر على الخروج إلى موضع الدُّرَّاج فأطلب به فراخ الدراج. والكسيرة التي تكسر لها حتى يصيد فراخ الدُّرَّاج أن تأخذ ثلاثة شفانين أو أربعة وتخيظ أعينها وتطيرها له وتشبعه عليها، تفعل ذلك ثلاث مرار أو أربعاً. وأطلب به بعد ذلك فراخ الدراج، ولا يفارقك البرود، وصفته أن تأخذ، وزن درهم طباشير، ودرهم بزر قثاء، ودرهم بزر خيار، ودرهم بزر قرع، ودرهم ورد يابس، ودرهم طين روي، ودانق كافور، وقشير ما يصلح أن يقشر ودقه دقاً ناعماً، وأخله في خرقة حرير، وأستخرج لعاب السفرجل، وأعجن به الجميع، وأصلحه فُتلاً صغاراً، وتكون معك في الصيف في سفرك، فإذا خشيت على جرحك الحرّ فخذ نصف فتيلة وأطعمه إيها، فإذا بقي باشقك على خمسة وخمسة فأجعله في بيت نظيف مكنوس مرشوش وأشدده بعد أن تبرّد عنه بعد رجوعك من المقام، ولا تنس ما ذكرناه لك فإذا مضت له جمعة فأطعمه العصفور والمخلف الصغير والبشتمازك جمعة. وأجعل الماء عنده في كل يومين مرة، وأرفق به، فإذا بقي على ثلاثة وثلاثة فأمسكه وأنتف بدنه وذنبه، ولا تمس جناحيه، فإذا فرغت من نتفه فأنفخ عليه الماء من فيك حتى يبتل، وأشدده وأجعل طعمه ذلك اليوم نصف طعم من بشتمازك، بسبب التعب الذي لحقه مع شيء من دهن المعقود. بعد أن يكون في بيتك عميل. فإنه يبرأ بعد اثني عشر يوماً ويكون سالماً في نفسه إن شاء الله.

وهذا باب مجرّب سالم في خدمة القرنصة ونحن نصف غيره من أبواب السلامة مما لا يعرفه الناس ونصف ما تعلمه المتسوّقة الذين يريدون به السوق. وهو من السمائم القاتلة للجوارح، وما فيها خير فوصف ولكن لا بد من صفتها حتى يعلم إنا قد عرفناها ولم تخف علينا، ونشكر بعد ذلك على تحذيرنا من استعمالها ونحن نذكرها، وينبغي إلا يكون تنف الباشق إلا للفرخ وحده والمقرنص ينتف ذنبه.

وقد أطعم الناس لحم القنفذ للمقرنصات، على شريطة نحن نذكرها، وهو أن تعمد إلى القنفذ فتذبحه وتخلص شحمه

من اللحم، فإذا خلص لك اللحم الأحمر، فأعتمد إلى الباشق وأطعمه منه أقل من نصف طعمه، ولا تلزمه إياه دائماً، بل ليكن مرة في عشرة أيام. ومن طعم القرنصة أيضاً البربوع في كل جمعة مرتين فإنه سالم مجرب وهو مع الرفق مبارك سالم.

والذي هو سم في القرنصة على الباشق إذا هو أكله دهن القرطم ودهن الجوز، والغدد التي تكون في رقبة الشاة إذا ذبحت فأما تؤخذ وتجفف وتدق وتطعم للباشق، وهذا إذا أطعم الباشق منه شيئاً خرج في غاية الحسن، وعند التحريك يندم صاحبه. ودهن القرطم والجوز أصلح من الغدد، والكل رديء على من يريد أن يلعب بباشقه، وأما الصعلوك فهو جيد له وحده.

ومنى رأيت الباشق نقياً ما عليه غريبة فأحذر منه. وقد ذكرنا ما فيه كفاية.

والزبور الأحمر اليبس رديء على الباشق، وهو يدق ويطعم له على ما ذكرناه، وكذلك السمك الطويل الذي يسمى الانكليس، يقطع من ناحية الذنب أربع أصابع ومن ناحية رأسه مثل ذلك، ويجفف باقيه ويدق ناعماً وينخل في خرقة حرير، ثم يجعل في قارورة ويطعم منه الباشق في كل جمعة وزن خمس حبات فإن صاحبه يسبق حد الجوارح بخروجه من القرنصة، ومن ثم يسبق إلى الموت، فتلك فرحة لم تتم لصاحبها. وقد ذكرنا الجيد والرديء في كتابنا هذا ولم نُبَق شيئاً حتى ذكرناه وربما قرح الباشق في القرنصة وذلك من دم رديء في جناح الباشق يحتاج أن يُخرج منه ولا يضر عصبه منه شيء ونحن نذكره إن شاء الله.

ذكر

علاج القرح

في جناح الباشق وكيف يخرج

تعد له سُكَّرُجَّةً فيها خلّ جيد وملح جريش، وتخرج له دهن البيض، وأطلب من خشب الداين ما يكون كثير الدهن، وحتاءً مدقوقاً وأنحت له من الخشب أو تاداً دقافاً صغاراً وأعمد إلى سكرجة فأجعل ذلك فيها، وأجلس أنت ومن يمسكه معك وأنظر مكان الاختناق في جناحه فأضربه بإبرة. في المكان بعينه، حتى يخرج منه الدم الرديء، وإن كان فوق الجناح أو تحته فما يضره شيء، فإذا خرج لك ذلك الدم فحكه بالملح والخل حتى يصير أبيض، وأغرز مكان كل ريشة وتداً من الخشب الذي في دهن البيض، وكبس في مكان ضربته بالإبرة الحناء وتفقدته كل خمسة أيام، فإن كان قد وقع من الأوتاد شيء فأغمسه في دهن البيض، وارده في مكانه، وسق ما كان قديماً به، فإنه نافع مجرب، فإذا كان بعد أربعين يوماً بأذن الله.

وإن كان قد عمي عليك في ذنبه شيء من ريشه، فأعمد إلى المنقاش وأقلع ما كان مكسوراً من ذنبه، وأعمل وتداً في المكان، فإنه يخرج ولا يبقى عليه شيء، ومنى بقيت عليه إلى أن يتم اثنا عشر يوماً ورمى بها ففتشه فأنك تجد الريشة قد خرجت واستغنى عن المعالجة.

وهذا علاج البواشق للقرح ونحن نشرح في قرح النيزاة غير هذا العلاج والجميع نافع لسائر الجوارح. وقد رأينا ما يكون في القرنصة سميماً يلقي ريشه، وهذا شيء ملبح ما يقف عليه كل أحد، وقد رأينا باشقاً ناقصاً لا يلقي ريشه وفيه سبب ملبح، ونحن نذكر ذلك أجمع في كتابنا هذا، فأما السمين فأنك إذا تقصته ألقى، وذلك أنه يكون شحاً منه على ريشه ومنها ما إذا كان سميماً ولم يلق فأحمله في السحر عشرة أيام وأطرحه فإنه يلقي إن شاء

الله.

وأما الناقص الذي ذكرناه في القرنصة لم يلق ريشه فأسمنه، فإنه يلقي ريشه ولا يبقى عليه غريبة. وقد رأيت ما يصيبه في القرنصة الحر فلا يلقي ريشه، ودواؤه قريب مجرب، وهو أن تأخذ من البطيخ البرُّليسي واحدة، فتقوّر رأسها ثم تقبضه وتملاً زهره ثلاثة أيام ولا تبالي أن يردّه وأمسك عليه طعمه إلى إلا يبقى عليه شيء منه وأطعمه عند الظهر، وليكن نصف طعمه من بشتمازك خروف، ولا يكن من ماعز، فإنه يردّه والسبب في رده أنه زفر. ومما نعالجه به في الحر أيضاً وهو باب لطيف أن تمنعه الماء ثلاثة أيام ثم تأخذ بطيخة فتعصر ماءها وتصفيه بغيربال شعر، وتأخذ من البرود المقدم ذكره في هذا الكتاب خمس فتاتل، فتدقها وتطرحها في ذلك الماء وتقدمه إليه، فإنه ساعة يرى الماء ينزل إليه ويشرب منه فأعمل به ذلك ثلاثة أيام فإنه كلما مر به يوم من شرب الماء تقص من شربه، فإذا مضى له عشرة أيام فأجعل له في سُكَّرَجَة لبن ضأن، مع قليل من سكر مصري مدقوق، وأجعل عليه يسيراً من دهن البنفسج، وأطعمه البشتمازك سخناً يومين، فإنه نافع مبارك، فإذا صلح فأعتمد إلى العصفور الطري فأطعمه منه عشرين يوماً، فإن صلح على العصفور فالزّمه وإن لم ينجب عليه فأنقله إلى ما نقوله من الطعم وهو الشفنين عشرة أيام فإنه يصلح عليه. وقد علمنا أن الشفنين ضار ولكنه لا يضره لما قد تقدم من البرود. وقد بلغنا عن طبيب أنه عالج من إسهال بما يسهل فقطع الإسهال. وقد وصفنا جميع ما أمكن. وهو مجرب

صفة علاج الدود

يؤخذ عود آس فيلفّ عليه قطن جديد ويقبض الباشق ويدخل في زهره ويلف عليه قليلاً ويرفق به، فإنه إذا كان من فوق خرج، ويؤخذ أيضاً ريشه فتلطخ عسلاً وتدخل في زهره فإنه نافع مبارك، وهذا العلاج ينفع إذا كان في أعلاه، فإن كان من أسفل فقد ذكرناه في علاج البزاة، وهما مختلفان، ذاك ينفع من أسفل، وهذا ينفع من فوق، وما بقي شيئاً مما جربناه إلا ونذكره. ولسنا ممن يحشو كتابه ما ليس بصحيح ولا يحتاج إليه، ولا نريد الكثرة. ونحن ذاكرون باقي العلاجات التي لم نذكرها في هذا الباب في علاج البازي وقرنصته التي تأتي بعد هذا. وما نفع البازي من العلاج فاليسير منه علاج الباشق. وما بينهما خلف غير القلة والكثرة، لأن البازي يحتمل الكثير لكبره، والباشق يكفيه القليل لصغره. وأما السبب الذي لأجله قدمنا الباشق على البازي فهو لأن البازي ثلاثة أرتال ونصف بالبغدادي وأقله ثلاثة أرتال، ووزن الباشق خمسة وتسعون درهماً وقليل من البواشق وهو أكبر ما رأيناه وزنه مائة وثلاثون درهماً وهو يصيد من الطرائد ما هو بقدر البازي وهو الأخضر ووزنه ثلاثة أرتال ونصف، ويصيد الغراب الأبقع، ووزنه رطل ونصف وله سلاح أعظم من سلاح الباشق وأطول، وهو أطول فخذين من الباشق وأشدّ بدنًا ولولا أنه يشتغل بالهروب إذا أرسل عليه الباشق لما صاده باشق أبداً، وإنما بهربه يتمكن منه الباشق لأنه خبيث ملعون.

وقد حكى عن الغراب أن أباه قال له: إذا رأيت إنساناً يتطامن إلى الأرض فأعلم أنه يريد أن يأخذ حجراً فيرميك به فطر، فقال له ابنه: فإن كان الحجر في كفه كيف نعمل؟ ولم يقل الغراب هذا، ولكنه مثل يضرب لخبث الغراب ولعنته.

ووزن الغراب الأسود رطل وربع وربما زاد ونقص وهذه الأوزان من هذه الطرائد إنما هي بعد ذكها وإخراج قلوبها.

في صفة الزبارة

وذكر شياتها وألوانها وأوزانها وضرائها والحوادث التي تحدث لها وعلاجاتها وما تحتاج إليه من الخدمة في قرنتتها صفة شياتها الأسهريج، والأصفر، والأحمر الديز)؟ (ومنها ما يكون أحضر عريض القصب مثل شيات البواشق، ومنها الأبيض الشديد البياض، ولم نر ببلدنا منها غير اثنين أهداهما ملك الروم إلى مولان أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ذكر أوزانها

ثلاثة أرتال ونصف وثلاثة أرتال بالبغدادى وفيها ما يزيد وينقص على ما ذكرناه لكبره وصغره.

صفة ضراة البازي

إذا وقع البازي إلى الصياد فسبيله أن يخيط عينيه، ويأخذه البازي فيسبقه ويغسل جناحه ويحمله على يده ستة أيام إلى أن يكلب على الطعم فإذا كلب على الطعم شرّقه، وقعد به في السوق عند العشاء، ولئيل القعود ليسمع وقع الحافر إلى أن يمضي من الليل ثلاث ساعات أو نحوها ثم يرده إلى بيته ويعود به مع الأذان الأول إلى السوق، فيجلس به وهو مشرق فإذا تكامل كلبه، فأعمد إلى عينيه عند العشاء فأفتحهما، ولا تُرله عن يدك إلى أن يمضي من الليل ست ساعات، فحينئذ تقوم به إلى البيت وتشده، فإذا كان الأذان الأول فأحمله على يدك إلى أن تصبح ولا تتراعى لك الوجوه، فإنه إذا رأى المارّ والجائي قبل أن يأنس أضطرب على يدك، وخذ شقة من حمام فأطعمه منها ما أكل، فإذا تم كلبه على الطعم فخذ له الحمام وأجعله في طوالة وأرمله له، فإذا أخذه فأذبحه في كفه، وأطعمه منه ما أكل، فإذا عملت به ما رسمناه وأخذ، فأركب الدابة، وليكن معك آخر ركباً، ومعه حمام وطوالة، وأشدد البازي في الطوالة، وأمدده إلى قدام وأدعه إليك، فأن جاءك فأذبح في كفه وأشبعه مكانه، فإذا عملت به ذلك ثلاثة أيام وجاءك كما تريد، فلقفه في اليوم الرابع الحمام، فإذا أخذه فأذبحه في كفه، وشق منه شقة وأركب الدابة، وصح به إليك مرة ومرتين، فإذا جاءك فأشبعه، وأفعل ذلك به مراراً، فإذا صار يجيئك ولا يتأخر فجرده من سباقه ولقفه، فإذا جاءك فأشبعه، ولا ترد منه غير ما عمله إلى غد، فاستنجه إلى الدابة فإذا جاءك من النخل وغير النخل (كذا) ووثقت به فألزمه الركوب في السحر، والطعم في الغيط، وما شاكل ذلك وكن ماراً وراجماً بين الناس فإذا هدا وأردت ضراوته على طير الماء فأعمد إلى طيرة ماء من البلق فخذها معك في الخريطة، وأخرج إلى الصحراء، وأشددها في الطوالة وحررها، ليراها البازي ودعه ينتفها، ثم خذها وأسترها عنه، فإذا كلب على طلبها فأرملها له، فإذا أخذها وذبحها في كفه، وخلّه ينتفها، فإذا شبع من نفها فأخرج له قلبها، ومن الحمام ما يكفيه، فإذا كان غد ذلك اليوم، فأخرج به ولتكن معك طيرة ماء وأره إياها، فإذا رآها في يدك فخذ جناحيها وأرملها إلى فوق، فإذا أخذها فأعمل به في غد ذلك اليوم مثل عملك به في أمسه، فإذا أخذها فكن من غد في ستره، وأعط إنساناً طيرة ماء، ومُره أن يقف في خليج فيه ماء، وليكن مستتراً عنك، وليكن الطبل معك، وأجعل العلامة بينك وبينه أن يُطير ما معه إذا كنت سعلت، فإذا فعل فأنقر في إثره الطبل، فإذا أخذها أخذاً جيداً، وكلما أخذ أشبعته فأخرج إلى

الغيظ به، وأطلب ساقية لطيفة وأرسله على طير الماء فإنه يصيد إن شاء الله. فإن صاد فأشبعه وأن أخطأ فأرم في كفه وأذبح في رجليه وأشبعه، فإنه يصيد غد يومه فإذا صاد وشبع حمساً أو ست شبعات فإنه يبدأ بالكبار من الأرنب والغربان والكروان والحباري والأوز والنحام وبوقير والمطرفات والملاعتي والعبال، وأن خرج إلى موضع فيه الدراج ووقع بهم لم يرجع عنهم لأن الدراج من صيده، فمتى كنت في بلد فيه الدراج والحجل فلا ترسل على غيرهما فإن طير الماء يفسد البازي إلا أن لا تصيب)؟ (غير طير الماء فصده. ولقد كان لي بازي وكان غطرافاً لا يساوي عند لاعب عشرة دراهم، مكسر الريش، وكان آخر السنة فأوصلته، وكنت أصيد به الغربان البقع، ثم جاء قصال القرط فصاد العبابة، ودخل القرنصة. وهو فرخ أحمر وخرج خيراً مما كان، وكان مولانا صلى الله عليه وعلى آبائه سماه صوفة البحر. ثم طيرت له طير الماء فصادها.

ولقد ركبنا إلى الصيد يوماً فنحن بشبرنمت بعد العصر، إذ رأينا في الغيط مكاحل وبلشونا، ورهطتين وكان البازي جائعاً، فدرت عليهم واستقبلت الريح وأرسلته، فدخل إلى الرهطي الواحد فحملة، وكان رأسه محلى، فلما جاء به إلى الأرض نجله في عينه تحت السواد في الصفرة، فأطبق عينه ولم يفتحها ساعة طويلة، حتى ظننت أن عينه تلفت ثم فصحها بعد ذلك، وقد نفذ إلى الحبة وأشبع، وانصرفنا ونحن على غاية من الغم به، فبعد ثلاثة أيام ركب عينه بياض فبطناه إلى أن زال ما كان على عينه، وكان دواؤه العذرة اليابسة المسحوقة، تنفخ في عينه بأنوبة، وأخرج بعد ذلك إلى الصحراء فصاد أخضر وبيضانيين، ثم عبرنا على خليج فرأينا فيه بلشونا فدرت عليه ومن معي يقولون أما تخاف الله؟ فلم أجبهم، واستخرت الله جل وعز ثم رميته عليه فصاده، وأخذ رأسه، فعدوت إليه فذبحته، وأشبعته عليه وانصرفنا، وقد قام في نفوس البيازة ما مثله يقوم.

ثم أنا بعد ذلك ركبنا إلى الصيد وكان معنا فصاد أخضر وديرجاً ودخل إلى الرمل فصاد كروانة وصاد الباشق كروانين ونزلنا إلى الابليز فرأينا قطعة كراكي فذكرت اسم الله تعالى ورميته عليها. فدخل إلى الأقوع منها فحملة، وجاء به إلى الأرض فعدوت إليه وأشبعته عليه، ولم أر في المدة التي لزمت فيها الصيد، ومبلغها عشرون سنة، إلى أن صنفت كتابي هذا في علم البيزرة، مثل هذا البازي على كثرة ما رأيت منها إلا خمسة بزاة كانت تصيد الكراكي وهذا سادسها.

ولقد وصل إلينا في ليلة واحدة مائة باز من الشرق والغرب وكم ثراه أن يصل في كل سنة منها ومن غيرها محمولاً إلى مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه. مما لم يحمل إلى ملك قبله كثرة وجوده وكل ذلك أتولى تدبيره وأمارس تضريته والاصطياد به، وإذا كان هذا الفعل مستكثراً من بازي في طول هذه المدة حتى صار مستطرفاً غريباً في جنسه عند من شاهد منها الكثير فحسبك.

وقد ذكرنا أن البواشق تفعل مثل هذا دائماً (وهو غير مستكثر منها ولا نادر فيها لأنها تصيد الغربان السود والبقع والمكاحل والبيضانيات والخضر والغر، والبازي أشد من الباشق شوكة، وأقوى جسماً، وإذا كان الباشق يصيد ما يصيده البازي فقد وجبت له الفضيلة على البازي، ووضحت حاجتنا في تقديم البواشق لما شاهدناه منها ولا شبهة على متأمل في صحة ما ذكرناه.

ولقد كان لنا باشق مقرر نص جُبل له من الفراهة على طير الماء ما يجوز الوصف، وذلك أنه يكون على يد مولانا صلى الله عليه فيمر به إناث الخضر من طير الماء، مدلاة الأرجل لتقع في الماء، فيرميه صلى الله عليه عليها عراضاً، ويضع له الطبول فيدخل إليها فيصيدها، وهذا من أحسن ما يكون، فبهذا الفعل وأشباهه وجب أن نقدمه على البازي إذ كان في الصحراء لا يصيد إلا العصافير فإذا نقل إلى هذه الطرائد العظيمة أتى فيها بالبدع.

وقد كان سبيل البازي وهو ملك الجراح أن يتزايد صيده أضعافاً، ليكون بالفضيلة أخص، لأن الفضيلة في هذا الحيوان لا تكون إلا بأفعاله وخواصه. وقد كان يجب ألا تخرج السنة أو يتقرنص من البراة على التقليل خمسة على الكركي. وقد ذكرنا كيف تُضرى مذ تكون وحشية إلى أن تصيد وتبلغ النهاية، ونحن نذكر ما تحتاج إليه في القرنة ميبناً إن شاء الله.

ولقد كان عندي بازي طريف، ومن طرفته أنه كان بطال المطعمة، فأصلحت له مطعمة من ذهب يُشد عليها بخيط إلى ساقه، فكان يصيد كل يوم ثلاث إوزات، وما أصاب من النحام، وكان من القره الذين سبيلهم أن يوصفوا، وكان يسمى الأقطع، وكان أخضر يضرب إلى الشهية، وما رأيت مثله بفرد كف أفره منه، ولسنا نقبي ما تتعلق به الفراهة إلا ونذكره، ولقد كان عندي بازي أصفر مدبج الظهر وكان فرحاً فارهاً على طير الماء، ولم ار أفره منه على الغربان لأنه كان يصيدها طائراً وواقعة، وما علمت أن شيئاً من صيده أفلت منه.

وكان عندي بازي حمل إلينا من دمشق، وقيل أنه من بعلبك، أصفر اللون وكان من الفراهة على حال مشكورة، لا سيما على طير الماء، وما علمت أني رأيت مثله، وصاد البلشون من على يدي، وخرجت به إلى الريف فصاد الدراج، حتى أنه لم تكن تسقط له دراجة إلى الأرض، وأقام سنين لا تتغير فراهته، ثم أنه بعد ذلك أصابه بَشَم ووقع في السل، وهو من العلل التي لا دواء لها، وما رأيت بازياً قط خلص منها ولا سمع به، ولقد عاجناه منها فبريء ونحن نذكر الدواء.

فمن نظر في كتابنا هذا وعالج به السل فنفعه علم أنه قد أتفق لنا دواء صحيح غريب. وكان على ثقة منه، وإن لم ينفع فغير منكر أن يكون البرء في ذلك البازي، أتفق لنا لا على أنه دواء له في الحقيقة، لأننا لم نجربه في غيره، ولم يجز لنا كتماننا، فذكرناه لا تفارق السلامة به، واعتذرنا لأننا لم نرجع منه إلى ثقة بطول التجربة. وأعلم أن أهل العراق لم يقدموا البازي حتى خبروه، فلذلك قدموه في كتبهم وهو أهل لذلك لحسنه، ولما يحدث من فراهته عندهم في العراق، وهي عندنا أقل فراهة منها عندهم.

وقد ذكرنا ما رأيناه من القره وصدفنا عنها. ولم يبق شيء من الجوارح كلها كبيرها وصغيرها حتى لعبنا به. ولم نضع هذا الكتاب إلا بعد الاختبار لسائرهما والمشاهدة لها، فنحن نرجع منه إلى ثقة، وكذلك الناظر فيه يرجع إلى ثقة فيما يلتمسه من أول أحوال الجراح في توحشه، إلى حال أنسه وفراهته، ولم تقتصر على ما ذكره من تقدمنا حتى زدنا عليه أشياء لم ينته إليها علمه ولا تجربته.

وقصارى من جاء بعدنا أن يقف حيث وقفنا متى أتفق له من ممارسة الجوارح ما اتفق لنا بمولانا صلى الله عليه في مثل المدة الطويلة التي ذكرناها، وبعيد أن يتفق لمن يكون بعدنا ذلك، وحتى تخرجه الدربة والممارسة إلى ما أخرجنا إليه حتى إنا نخير من طاعنا؟ (ونعطيه من عدة بزاة أفرهها ونأخذ الأدون منها، فنلحقهم في صيدهم بالأدون، وأن سبقونا في خيارهم للأفضل الأفره.

ولقد بلغنا في صيد البازي خبر عجيب لم نسمع بمثله، وذلك أن مسلماً دخل إلى بلد الروم، فسمع من الروم رجلاً يدعو البازي، وأنه وقف لينظر ما يصيده، فخرج إليه بازي كبير فأخذه وذبحه، ثم أنه دعا فخرج إليه آخر أحسن من الأول فذبحه، قال المسلم: فصعب ذلك من فعله علي، وجعلت على نفسي أن أقتله أن ظفرت به، بعد أن أسأله عما أوجب ذبح البازيين، قال: ثم أن الرومي دعا له بازي دقيق الشية دون الأولين في الكبر والحسن، فأخذه وسرر وغنى ورقص، وأخرج إداوة مملوءة نبيداً قال: فشرب حتى نام سكرأ فأوتقت كتافه فاستيقظ وقال لي بلسانه، وكنت أعرف الرومية، بحق نبيك لا تقتلني، فقلت: أمش وإلا قتلتك، فمشى معي مكتوفاً وأخذت شباكه وآلة

صيده. فلما وصلت به إلى منزلي قلت حدثني لم ذبحت البازيين؟ فقال: أحدثك بعد أن تحلف لي بنبيك إلا تقتلني، وأن تطلقني، فلما توثق مني باليمين، قال: حملني على ذبح البازيين أنهما لم يكونا خالصين، وكان قد ضرب فيهما الصرر؟ (وهذا البازي اللطيف خالص وهو يصيد الكراكي. فقلت أربي كيف يصيده فقال: نعم، وعزم إلا يخيظه، فلم أفعل شفقة عليه، فبعد أن مضت له جمعة شرفه فهو على يده إذ رأى كراكي طائرة فوائتها، ثم أنه بعد ذلك فتحه وقال: سر لترى منه ما وعدتك من صيده، فخرجت معه فرأى الكراكي، فأرسله عليها، فدخل فصاد منها واحداً، ثم قال لي: هذا هو الخالص من البزاة فأعقبته. وهذا حسن إن كان صحيحاً لأنني لم أراه بل حدثت به بمحضر من جماعة فاستحسنته وأثبتته في كتابي هذا، ومن أسند فقد برئ من عهدة الحكاية.

ذكر

ما يحتاج إليه البازي في القرنصة

إذا أردت قرنصة البازي فأتبعه قبل ذلك في الصيد أياماً كثيرة أتعاباً جيداً، إلى أن تراه قد ألقى ثلاث ريشات من كل جناح أو أربعاً فإذا عزم على طرحه وقطعته عن الصيد، وأردت نتف ذنبه، فلا تضع يدك عليه حتى تريحه، وتسمنه بعض السم، فحينئذ فانثف ذنبه في زيادة الشهر يوم السبت، وإنما أردنا بيوم السبت لخبر يروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله أنه قال: لو زال حجر عن حجر وجبل عن جبل في يوم سبت لكان حقيقاً على الله تبارك وتعالى أن يرده إلى موضعه، فتأولنا بذلك أن يعود عوضاً من كل ريشة تنتف في يوم سبت ريشه جديدة، ولا تتخلف بعون الله. وقد عملنا ذلك في عدة بزاة ولم نر فيها إلا خيراً، فإذا أردت نتف ذنبه فتنصه تقيناً رقيقاً، ثم ضع يدك في أصل ذنبه وأقلع الريشة قلعاً رقيقاً، لئلا تزعجه وتوجع ظهره، وانتف نيفقه وهو ما حول زمكاته من داخل، ليخرج بخروج الذنب، وإن لم تنتف ذنب بازيك وتركته يلقي كما يجب، كان أصلح له وأسلم، وإنما ينتف من يريد يسبق بخروج بازيه من القرنصة، ثم أعمد إلى خشبة ملساء مستوية مقدارها خمسة أشبار فابنها في الحائط مما يلي صدر البيت في زاوية، وأجعل طرفها في الحائط وتوثق منها، ولتكن من الأرض على أقل من ذراع، ولا تجعل الخشبة غليظة فتنبسط كفاه عليها ولا دقيقة فلا يمكنه الثبات عليها بل متوسطة تجمع كفيه، وليكن البيت الذي تلقيه فيه واسعاً بارداً، فأنتك تلقيه في استقبال الحر أو في شدته، ولا تُغفل الرش في البيت كل يوم، وأجعل له تحت الخشبة رمالاً لئلا تقع كفه إذا اضطرب على الأرض، فتوجعه ويضر لك محالبه، وأجعل عن يمينه إجانة من خرف واسعة لطيفة السمك فيها ماء، وغيره في كل يوم، ليدخلها ويشرب منها ويغتسل فيها، وأطرح له في ذلك الرمل كفا من شعر فإنه ينبت سريعاً ولا سيما في الموضع الندي، فأن البازي يفرح به وينام عليه ويستريح إلى برده، وينشط إذا رأى الخضرة، ومتى انكسر من الريش الذي خرج في سنته ريشة فأقلعها فأثما تنبت بعون الله. ولا تدع بيته مفتوحاً، وتوخ أن يكون مفرداً، وإلا يكون عليه جواز، لأنه لا يؤمن عليه أن سمع جرياً أو حركة أو جرّ بساط أو حصير أو غير ذلك مما يذعره من أن يضرب بنفسه الحائط فيهلك، وإذا كثر الجواز عليه شغل عن القاء ريشه، وتأخر خروجه من القرنصة، ولم يرم من ريشه الكبار شيئاً، وإذا أمن من الجواز عليه خلا بنفسه وتفرغ لإلقاء ريشه وأسرع، ولم يمتنع كل يوم من الأغتسال، ولم يتأخر خروجه من القرنصة. وبذلك على ذلك حسن قرنصة البازي الذي لا يصيبه أذى في حال قرنصته، وإذا ألقيته فلا تكثرن عليه من الطعام في ابتداء الأمر تريد بذلك إسمانه، فإنه بالمتوسط من الطعام يسمن ما لا يسمن بالكثير منه، ولا تحرص على إسمانه حتى ترى ريش ذنبه قد طلع، لأنه إذا

سمن قبل طلوع ريشه لم يؤمن أن يسدّ الشحم مطالع الريش، فيعمى موضع الريش ولا يخرج إلا بعلاج، وربما عمي فلم يخرج إلا بعلاج نذكره. وقد عالجنا به عدة بزاة وأنجح، وهو أن تأخذ من دهن البيض الطري، ومن خشب الداين ما كان طرياً، وتصلحه أوتاداً على قدر أنابيب الريش، وتجعله في الدهن وتقضب البازي وتقبيه حتى تأمن عليه من الاضطراب، وليكن مع مناقش، ثم فتش عن الريشة التي عميت ونبت عليها اللحم فأقلعها وأجعل موضعها وتداً فأفها تخرج.

وأعلم أن البازي وجميع الجوارح حتى الفهد طبعها البلغم، وهو آفتها والغالب عليها، وبغلبته يقل لذلك دماؤها، والدليل على ذلك أنك لو ذبحت بازياً لما وجدت فيه من الدم ما تجده في فرخ حمام، ولو ذبحت باشقاً لوجدته أقل دماً من عصفور. وسبيل ما كان هذا طبعه أن يكون غذاؤه اللحم الحار والدم اللذين لم يزا إلا غذاءه في حدّ بشكاريته، فلا تؤثرن على ذلك شيئاً، واجعل طعمه في قرنصته مخاليف الحمام السمان النواهض التي قد طارت، ولا تطعمه الفراخ التي لم تطر فأفها تنقله إذا أكلها وتصلب في زهره ولا يسيغها بسرعة، وتضره غاية الضرر، وأطعمه الحذف السمان والقنابر والعصافير الطرية البقلية وما أشبه ذلك. ولا تدم على شيء مما ذكرنا لك، بل غير عليه هذه اللحوم، فهو أصلح له من أن تدوم به على لحم واحد، ولا تطعمه لحمًا بارداً، وأنت تقدر على حار، أعني ما وصفته لك (ولا سيما في القرنصة، وأن أطعمته ذلك في القرنصة فليكن في الأيام من بشتمازك حمل سمين بدهن حار مثل دهن الجوز، أو الزنبق، والأجود أن يكون بشيرج على جهته، فإنه أقلها ضرراً، والبشتمازك هو الذي يكون في آخر الأضلاع من داخل الحمل، لا ما يكون على ظهره، ويسمى الكمازك، فتعاهده في القرنصة بما ذكرناه، ودع ما ذكر في الكتب من إطعامه في القرنصة الغدد وجراء الكلاب ومخاليف الخطاطيف والفار والجرذان وجلود الحيات اليابسة، والزنابير الحمر اليابسة، ولحوم العجاجيل وأشباه ذلك، فأنت تعلم أنه لم يتغذى في وحشيته بشيء من ذلك وإنه لم يكن له غذاء إلا اللحم الحار والدم، وقد رأينا من غدى بازيه، واستعمل في علاجه ما وجدته في الكتب الموضوعة التي أكثر ما ضمنت على غير أصل وبغير تجربة، فلم يكن لبازيه بقاءً وكيف يكون لجراح يُطعم البنج والخربق بقاء، وهما سان قاتلان، ويخلطان مع غيرهما من العقاقير الحادة الحارة فتحرق أكباد الإبل فضلاً عن أكباد الجوارح، وذلك موجود في الكتب المحتفظ بها في خزائن الملوك، فلا تُطعم بازيك في قرنصته وغيرها سوى لحم ما وصفناه لك أو لحم ما يصيده مما يجوز أن تطعمه إياه، ونحن نذكر ما يجنبه من لحوم صيده إذا انتهينا إليه.

وإذا رأيت بازيك قد ألقى بعض ريشه الصغار، وطلع شيء من ذنبه، فأحسن إليه بما ذكرنا لك، وتعاهده بالأدهان، واجعل في طعمه دهن الخروع في الاحيين، أو دهن الشهدانج فإنه مع دسومته شديد الحرارة، وإذا أكل منه ألقى ريشه سريعاً إن شاء الله، ولا تكثر عليه من الادهان فتبشمه وتؤذيه ويملها، وليكن ذلك بقدر، وشحوم ما تطعمه لحمه من المخاليف النواهض، والعصافير البقلية أحفظ لجوفه، وأنفع له وأحمد عاقبة، فتعاهده بها، ولا تكثر عليه منها فتثقله، وكلما وجدت ريشاً من بدنه حواله، فأرم به ولا تدعه عنده، ليبين لك ما يلقيه كل يوم فإذا تم ريشه وذنبه وجناحه وأردت حمله، فأنقصه قبل ذلك بأيام، ليمكنك حمله وينوب بعض شحمه، وليكن حملك له في زيادة الشهر، وكن عليه أشد حذراً، وأكثر توقياً، منك في حال توحشه، لأن الوحشي تصيده، وهو كالفرس المصنوع، يطير كل يوم ويعب نفسه ويصيد ما يأكله فلست تحشى من اضطرابه على يدك علة تحدث له، وهذا تحمله من كندرته وقد ألقيته عليها مائة يوم أو نحوها لا يتحرك منها إلا إلى يدك وقت طعمه فهو سمين لا يؤمن عليه إذا اضطرب بفزع أن ينقطع، وليكن حملك له أولاً بالليل، ليلتين أو ثلاثاً في السراج فإنه أسلم له، فإذا أنس فأحمله

على الدابة، وسر به في برد السحر، وطف به الصحراء أن رأيته يشتهي ذلك، فإنه مما يجيئه، وإلا فأررده إلى البيت، وأحمله حتى يذوب شحمه، ثم جوعه وأخرجه، وليكن ما ترسله عليه أولاً الذرّاج أو طير الماء أو ما شاكلهما، وجرة على ذلك وأرفقه فيه، وأن أردت به طائراً كبيراً لم يكن صاده في فروخيته، فأقصد به الجبل في أول النهار، وأرسله على الكروان ليطير عليه، ويكدّ نفسه ويصيد طلقين أو ثلاثة، ولا تذقه من كل طلق إلا القليل، فإن ذلك يزيد في جوعه، وأطلب به بعد ذلك الأرنب، فإنه يصيده، وأقطعه عنها وألقه على الماء، فإن شربه فهو يزيد في جوعه أيضاً، وأدخل به الصحراء بعد ذلك، وأرسله على ما تريد من كبار الطير، فإنه لا يرجع عنه وأجعل له شعبة في كل يومين أو ثلاثة على الإجابة، بعد أن يصيد لك ما تريد، فأنت إن لم تفعل ذلك فسدت أجابته وتعذبت وكدر عليك صيده. وتفقد سباقه عند إرسالك له فإنه إذا كان قصيراً من جانب وطويلاً من جانب واضطرب على يدك، صرّه ذلك وأوجع إحدى فخذيته، ولم يخرج من يدك، إذا أرسلته على الصيد كما تحبّ، وربما عرج من ذلك، فليكن السباق قصيراً فإنه أسلم له من العقاب وغيرها والأسباب كثيرة، وتفقد دستبانك لئلا يكون وجه الأديم خارجاً، وإن كان من غير الأديم وكان وجهه خارجاً تزلّق تحت البازي، ولم يتمكن من الثبات على يدك فأقلبه، وأجعل المبشور خارجاً ليتمكن البازي من قعوده على يدك، ولا تحمله وأنت سكران فإنه ينكرك ويخافك، ولا تمسه ولا تطعمه وأنت جنب، فإنه لا يحتمل ذلك.

وقد خبرني من جرب ذلك وزعم أنه لم يمسس جارحاً وهو جنب إلا تبين فيه التغير من يومه، ولا تحمله وقد أكلت بصلاً ولا ثوماً، ولا ما يتغير له اللحم فأنت تؤذيه بذلك، ويحوّل وجهه عنك، ولا تنهه ولا تصح في وجهه، فإنه يعرف، وتباعده من نفسك بل تحب إليه بمداراتك له ورفقك به، عند حمله، ولقمة اللقمة الصغيرة في غير أوقات طعمه وصيده، وفي الليل إذا علمت أن ليس عليه طعم ولا ريمجة وليكن تلقيمك له من فيك، ليألف ذلك منك، ومتى صحت به طلب صياحك للعادة، وإنما جعل مضغ اللحم للبازي لهذا السبب. وكثير من البيازرة لا يعرف ذلك، وإنما يطعم للعرف والعادة، وإذا أردت أن يجبك بازيك ويألقك، ويسرع الإجابة إليك، فخذ من شحم سرة الدابة وأجعله في أناء، فإذا كان الليل فأحمل البازي في السراج، وخذ من ذلك الشحم مثل الحمصة، فأجعله بين سباتك وإهمالك، فإذا ذاب فأمسح منه منسره، فإنه يجد طعمه ورائحته وتبين لك الزيادة في أنسه، ثم لا يصبر عنك. وهذا مما أحدثته الترك على ما بلغنا. وجنيه لحم العققق والزراغ والغداف ودم الريحاني أعني الحذف، وما علمته سهكاً من سائر طير الماء، والحمامة العتيقة فأثما علقم.

ولقد خبرني بعض الناس أنه ذبح حمامة عتيقة ضخمة، وأنه أطمع منها ستة بواشق، وكانت فراخاً فلم تبت ليلتها حتى قذفت كلها دوداً، وماتت عن آخرها، وجنيه ريش الطيهوج والغرّ وإهلام وما كان ريشه ليناً، فإنه يصعب عليه أن يرمي به ونعم الشيء الريمجة للجراح، لأنه لا بد له منها في حل وحشيتها، فقد اعتادها وألفها، ثم مع ذلك تنشف الرطوبة، وتتعلق بها الفضول فتخرج معها، ولا تمتع من إطعامك البازي العظم الذي فيه المخ مثل عظم الفخذ الأعلى ودعه يبتلعه صحيحاً، والعنق فإنه يدسم جوفه ويلينه، ويوسع مذكرفه والذي لا مخ فيه يخرج أمعاءه.

ذكر

سياسة الزرّق

أعلم أن سياسة الزرّق كسياسة البازي وطبعه كطبعه، وصيده كصيده، وتضرّيته كضرّيته، وداءه كدائه، وعلاجه

كعلاجه، لا فرق بينهما إلا أن البازي أضخم، ويصيد ما يعجز عنه الزرق، وقد قرأنا في بعض الكتب أنه كان لإنسان زرق غطراف يصيد الكراكي فما دونها، وقد أبطل في هذا القول ولم يصدق فيه.

ذكر

الأدوية والعلاجات

وما يستدل به من الذرق على كل علة

أعلم أن الذرق للجراح بمنزلة البول للإنسان ويستدل البصير على علة الجراح بذرقه، كما يستدل الطبيب الخاذق على علة الإنسان بالقاورة، بل الذرق أصدق وأصح لأن الجراح لا يعدى طعمه، وهو اللحم الذي هو غذاؤه، فأن وافقه وجد ذلك في ذره وإن لم يوافقه لم يخف في ذرقه. والإنسان ربما أشتكى علة من حرارة شديدة أو من دم فتوجب العلة أن تكون قارورته حمراء، فيشرب في الليل شربة ماء، أو يأكل رماناً فيغير ذلك المقدار ماءه، ويحمله حتى يدل على غير علته، ويشكل على الطبيب أمره.

ويحتاج من كان عارفاً بالجوارح، كثير الملازمة لها، والتجربة لعلها، إلا يخفى عليه كل جراح، وأن يعرف ذلك ظاهراً وباطناً، بذرق الجراح، ويجعل ذلك شاهداً على العلة. كما يجعل الطبيب الماء شاهداً على العلة، ويحتاج مع ذلك إلا يخالف فعل الطبيب العالم، ولا يحكم على الذرق ويدع ما سواه من الشواهد، لأن الطبيب العالم لا يحكم على الماء دون الجسدة، وما يبين له من حالات العليل، وأن حكم بغير معرفة فقد ضل الطريق، وكذا ينبغي لمن عرف الذرق إلا يحكم عليه ون غيره من الشاهد كالبازي الذي يتنجر ذرقه وذلك يدل على الاسطارم وهي علة لا دواء لها، وتراه صافي العين، ممتلى الصدر، حسن الحال، ولا يكون اسطارمي صافي العين أبداً، ولا سميماً لأن هذه العلة في الجراح بمنزلة وجع السل من الإنسان، فمتى يوجد من به السل من الناس سميماً أو حسن الحال؟ فيحتاج إذا وقف على الذرق ورأى به منه شيئاً، أن يتفقد حال البازي وينظر إلى عينيه ولحمه، وحسن استمرائه للطعم، وإلى ما أطعمه بالأمس، فإنه ربما أطعمه ما يتغير منه ذرقه، وليس ذلك بضائر له، فإذا وقف على ذرقه عاجله بما يعالج به العليل من ذلك الداء الذي دلّ عليه ذلك الذرق، كالبازي يصيد طائراً فيجب أن تطعمه من دمه، لأن الدم في الاحياء مما ينتفع به إذا غداه، ويسهله وينظف جوفه ويجيعه، فإذا أكله تغير ذرقه، لأن الدم يغير ذرق الجراح، وليس عليه من ذلك التغير خوف، فيقدّر من رأى ذلك الذرق أنه من تعب لحق البازي، أو من بشم فيقتله لذلك جوعاً، ويعالجه بما يعالج به البشم

وإنما ذكرنا هذا ليتبين الناظر من ذرق البازي، ومن حالاته وطعمه بالأمس، ما يكون عوناً له فيعمل بحسبه، وربما سحق الرميحة فأخرجها في ذرقه، ولم يرمها من فوق وليس ذلك بمحمود، وهي مما تغير ذرقه، إذا خرجت من أسفله، ذلك يذهب على أكثر اللُّعاب، والعلة فيه أن الريش الذي يبتلعه البازي يكون قليلاً، فلا يمكنه أن يجمعه ويرمي به، وربما ضعف عن جمعه فيذيب الرميحة لذلك، وإذا ألقى البازي الرميحة يابسة مجتمعة فذلك من علامات الصحة وأن ألقاها خضلة مبتلة فعلى قدر بللها ورطوبتها يكون فضول جوفه، ومن علامات الذرق الدالة على العليل أن تراه مخالفاً لما ذكرناه من ذرق الصحة، فإذا رأيت الذرقه بيضاء شديدة البياض قليلة السواد، خشنة شعثة مقطعة، عسرة في خروجها فأما تدل على الجص، وعلى حسب ما يظهر لك من الزيادة في بياضها وعسر خروجها

يكون الجص، وإذا رأيت الذرقة قد اختلط سوادها ببياضها والسواد يغلب على البياض فأن يدل على تعب لحقه بالأمس وأن رأيتها مختلطة فيها صفرة وهي كثيرة مقطعة فأن ذلك يدل على بشم حديث، وأن رأيتها مدورة على هذه الصفة ولم يمددها، فأما تدل على تخمة عنيفة، وهو قريب من البشم، وأن رأيتها مزججة مدورة، وفيها بعض البياض وشبيه بالبزاق، فأن ذلك يحمل من لا يعلم، على أن يشهد بأنه ذرق جارح به الاسطارم، وليس ذلك مما يخشى عليه منه، وإنما تغير ذرقه من أكله لحم طائر قد رعى ما يخالف طبعه، ولم يوافقته فيتغير لذلك ذرقه يومه ذلك، ثم يرجع الذرق إلى ما كان عليه، وربما تغير ذرقه إذا بات خالياً من الطعام، فتكون تلك الذرقة من فضول جوفه، إذا كان غير خال من الطباع الأربع وهي دليلة على المرّة لا غير.

وإذا رأيت الذرقة مزججة قد خالطها يسير من السواد والبياض، وأعادها البازي في غده حين تحمله، فأن ذلك يدل على الاسطارم. وإذا أرابك من البازي أمر وتوهمت به علة فأصرف همتك إلى الرفق به والإحسان إليه، وأسمه فأن السمن ربما ذهب بالداء من غير علاج، وإن لم تستغن على العلاج فلأن تعالجه وهو سمين يقوى على التقيض واساغة ما تطعمه خير من أن تعالجه مهزولاً فيضعف.

ولقد مرت بي حكاية عن رجل كان لاعباً بالجوارح أنه قال: سألت رجلاً يلعب بالجوارح عن بازي كنت أعرفه له فذكر أنه بمنزلة الميت، وأن الاسطارم مع كثرة العلل أمهك وأذاب لحمه حتى أنه ليس فيه من القوة بما يقعد على اليد، وأعلمني أنه أمر برمييه فبعث من جاء به، فرأيته على ما حكاها من الهزل والضعف حتى لقد كان يحرك رجله فتسمع صوت عظامه من جوفه تتققع، فسقيته ماء لأنني رأيت عينيه عيني عطشان. وشدته في موضع بارد كثير الهواء، فكان مطروحاً على الكندرة لا أشك أنه ميت فتركته ساعة ثم لقمته صدر عصفور مخلّف، وعيناه منطقتان، فلما حصل ذلك المقدار في زهره فتحهما بعد ساعة، وانتظرت به إساعة ما أطعمته، ثم أي أطعمته شقة أخرى، فعبرها وتبينت الريادة فيه، وفي نظره ولم أزل يومي ذلك كلما عبر أطعمه أخرى إلى العتمة، فبات وعليه شقة، فلما أصبح نظرت إليه وقد فتح عينه وصفت بعض الصفاء، ورأيت ذرقه حسناً جيداً، فأطعمته شقتين من عصفور فعبرهما بعد ساعة، وتركته حتى بقي وصفا ذرقه وصح، وطلب الطعام فأطعمته عصفوراً سميناً، منظفاً من ريشه وعظامه، فلما عبره قوي وصلب صياحه فألقيت إليه فأرة فأكلها، ووضعت عنده الماء فشرب وأكثر، للملوحه لحم الفأرة، فجوّعه ذلك وحرّضه على الطعام، فكنت أخفف طعمه وأغير عليه اللحوم، فما وافقه ألزمته إياه، وما تقل في زهره وأبطأ تعبيره جنته إياه، ولم يزل ذلك فعلي به مع الرفق، وكنت على سفر فلم ينجع رفقى به، بل كان يمسك ريقه حتى استقرت وأحمت البازي، وكان وقت قرنصته فألقيته في القرنصة، وجعلت أداريه ولا أستعمل معه ما أستعمله مع غيره من البزاة لعلمي بما في جوفه من الداء إلى أن خرج من القرنصة ينشق شحماً، وخرج ريشه أجمع فحملته فصدت به حتى الكراكي، وكان لا يقصر في صيده، ويسبغ طعمه، ولا ينكر منه شيئاً، ولقد أرسلته يوماً على التمس وكانت في ماء فلم تنقل له بسرعة، فأخذ منها واحدة، فأجتمع عليه الباقي فضر به وغطّوه في الماء، وهو لا يُخلى التي صاها، وكان ذلك في يوم بارد فأدركنه وحملته، وهو لما به من ألم الضرب وشدة البرد، فرددته وشدته في موضع كنين فلما زال عنه ذلك حملته وأطعمته وخفّفت عنه، فلما كان في غد ذلك اليوم رأيته وقد صار على النصف مما كان عليه، ولم تمض له إلا عشرة أيام حتى عاد إلى ما كان إلى كان عليه أولاً من الهزال وسوء الحال، فدفعته إلى من يقوم بعلاجه ومداراته، فلم يزل يعذب به إلى وقت القرنصة فلما ألقاه وأهّمه رجوع في السمن إلى ما عهدته وألقى ريشه وخرج حسناً، وصدنا به كل طير، ولم تزل تلك حاله إلى أن توالى عليه اللعب فأرسلناه في بعض خرجاتنا إلى الصيد ثلاثة أيام، فعاد إلى الهزال والضعف، فلم تزل حاله معنا يلقي في

القرنصة وهو لا يُرجى، ويسمن عند احمائها إياه، ويحمل وهو سمين فيصيد كل طير، إلى أن مضت له سبع سنين ما من سنة إلا ويرجع فيها إلى حاله الأولى، ثم أنه ذهب منا فلم نعرف له خيراً، وإنما ذكرنا قصة هذا البازي ووصفناه علته وما عملنا به لأنه لا داء للبزة أقتل من الأسطارم، وكان الشحم يقوي البازي، ونحن لا نشعر بعلته وهو على تلك الحال، ولو لم نسمينه ونرفق به لمات في أول مرة، ولا تؤثرن على إسمان بازك شيئاً متى رأيت منه ما يريبك. وحدثنا من نتق به أنه رأى البازي وقد صاد التمس بالمغرب.

ذكر

ما يحدث الجص وصفة علاجه

أعلم أن الجص يحدثه الحمام واللحم البارد إذا أكثرت على البازي منه، وربما حدث من غبار وتدٍ أو تدٍ في بيت محمص، ويحدث أيضاً من شم رائحة الجص النديّ وربما حدث من ترك ذرق البازي في موضعه فيشم رائحته، وعلاجه إذا بدا به أن تلقمه الزبد أولاً حتى يحصل في زهركه، ثم تلقمه السكر، فإن الزبد يلين جوفه، والسكر يسهله، فإن نفعه ذلك وإلا فأحقنه بزبد، أو بمخ من ساق شاة، تجمده في الماء البارد وتجعله مثل النواة للبازي، وكذلك تجعل للزرق والباشق إذا أصابهما الجص بقدر ما يحتملانه، ولبن الأتن ينفع أيضاً فإن أمكن وإلا فأطعمه لبن الضأن بسكر ثلاثة أيام، مع بشتمازك الماعز، وتفقد ذرقه فإنه يرمي بالجص مثل الحمصة، وإن كان البازي صيوداً فليس له دواء أفق من الطرد، وأكل اللحم الحار، أعني القبح والطيهوج والدراج ولا سيما أن كانت سمناً، فإن طيرانه وأكله هذه اللحوم مما يذيب الجص ويذهب به، وإن لم يمكن ذلك فأطعمه لحم مخاليف الحمام السمان ودماءها وشحومها فأما صالحة له ولا بأس بلحم الأرنب حاراً، ولحم الخنزير وشحمه أبلغ ما عولج به الجص، فأطعمه منه طعاماً أو طعمين وإذا ابيضت عينا البازي من شدة الجص فأعلم أنه قد صعد إلى رأسه، فمن الناس من يكون وسط رأسه، ومنهم من يكوي حكه الأعلى يعود أس أو بمسلة، وأصل هذا العلاج الشرك، وأظنهم يفعلون ذلك بالبازي وليس به جص ليأتموا عليه، وقل من رأيناه كوى بازياً في حال علته فنفعه ذلك، والأصلح ما ذكرناه ولا تقربه النار، ومن الناس من يعالج الجص بأشياء كثيرة وأدوية حارة حادة، يقتل اليسير منها الرجل فضلاً عن الجراح، فتركنا ذكرها، إذ كان العقل لا يوجب قبولها، ولأنني ما امتحنتها فأحملها، ولا رأيت من امتحنتها يجمدها. وقد حدثني من أتق بقوله أنه عالج بازياً له من الجص بمرارة عنزٍ مع يسيرٍ من فانيدٍ فأنفع به، وذلك أنه أخذ مرارة عنزٍ فصب نصفها وجعل في النصف الآخر من الفانيد السكري المدقوق مقدار ما تحمله وشد رأسها بخيط وأدخلها في حلق البازي، وجر الخيط منها فأنفع بذلك، وذرق الداء، فمضى عالجته بهذا الدواء فأكثر عرض الماء على البازي فإنه يشرب ويرمي بما في جوفه من الجص، ولم نجرب ذلك غير أن من حدثنا به بصير ثقة، وقد شرحنا ما علمناه من علاج الناس.

وقد كان عندنا بازي لمولانا صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، به ورم في رأسه، وجص في جوفه، وكنا نعالجه بمذبح التيس، وذلك أن تشد يده ورجلاه ويذبح، فيجعل البازي على مذبحه يأكل منه شبعه فيدفع ما في رأسه، وحلل الجص الذي في جوفه، وكنا نعالجه بلك يومين في الجمعة وهو الذي جربناه ولم نر إنساناً قبل مولانا صلى الله عليه عمل ذلك. ولو شرحنا ما عندنا في علاجه لأطلنا ولم نضمن كتابنا إلا ما جربناه. ولحم الغزال مجلل للبلغم الكائن في أجوافها، وينفع من الرياح التي تعرض لها من الجص.

ذكر

علاج النَّفس

وهو نَفْسَان، فمنه ما يكون بالطول ومنه ما يكون بالعرض، فأما الذي بالطول فيرجى له البرء، وأما الذي بالعرض فقلما يسلم منه البازي، فإذا أصاب البازي النفس بالعرض، وكان سمياً تاراً في بدنه، فأجعله في بيت كنين مظلم، وخط عينيه، فإن كان النفس أصابه من صدمة أو ضغطة فأذب له المومياء الخالص بدهن السوسن، وأطعمه إياه مع بشتمازك الضأن، فإنه يفتح الوهن ويجبر الكسر، وإذا رأيت البازي قد استند نفسه ويس لسانه في فيه، فهو من الحر، فخذ له مقدار عدستين من الكافور، وأذبهما في الماء وأسقه إياه، وانتظر بطعمه خمس ساعات لم تخش ضعفه، ثم أطعمه بشتمازك ضأن، فإذا كان من الغد فخذ له بشتمازك ضأن ذبيحة وقته، وشرحه وقطعه صغراً، وألقه في اللبن، وأطعمه إياه، وإن كان لبن أتان فهو أففع له، وقلما رأيناه من البزاة خلص من النفس إذا أصابه، وله علاج غير هذا سنذكره إن شاء الله.

وكذلك إذا أنقطع البازي لا يجيء منه شيء، لأنه عرق ينقطع في قلبه، وربما لحقه الانقطاع في القرصة لشحمه إذا وثب، وربما أصابه ذلك من ردة سوء من بازياره، وعلاجه كثير وما بنا حاجة إلى أن تذكر ما لا فائدة فيه، بل نذكر ما عاجلنا به وجربناه، وأخذناه من الثقات، وما سوى ذلك فقد حكيناه عن قائله، وتبرأنا من الكذب فيه، واعتمدنا الحق فيما نقوله ونحكيه، وكذا سليل من وضع كتاباً ألا يكذب فيه، وأن يتعمد الحق فيما يحكيه، فإنه متى اختبر من كتابه شيء ولم يصح، كُذّب في الباقي أجمع، وما بإنسان حاجة إلى أن يهجن نفسه، وكفى بالكذب خزيًا واسقاطاً وضعة واحباطاً.

ذكر

علاج البَشَم

إذا تبينت في البازي بشماً فأطل جوعه، وأجعله في بيت مظلم، لئلا يقتل نفسه بكثرة الاضطراب، وقتر عليه الطعام، وليكن أول شيء تطعمه ثلاث قطع من لحم مشرّح واذرر عليه من الزنجبيل أقل من حبة، فإن ذلك يمر به ويشهيه الطعام، ويعقد ذره حتى تراه قد صفا، وأن لقمته لقمياً بنييد مطبوخ طيب كان نافعاً، فإذا حسن استمراؤه للطعم، وتبينت صلاح حاله، فأعمد إلى قطعة طين حارة محترقة مما يكون تحت القدر، وانحت ما عليها من الدخان واسحقها وألقها في الماء ودعها قليلاً، ثم صفّ ذلك الماء عنها، وقطّع اللحم الذي تريد تطعمه للبازي، واجعله فيه لحظة وأطعمه إياه وهو سخن. ولقد عاجلنا به باشقاً عندنا أصابه بَشَم فأفاق، وركبنا إلى الصيد فأخطأ عليه البازيار فزاده، ولم يكن يحتمل زيادة، فرجعنا من الصيد عند العشاء الآخرة، فحبس الطعام إلى أن مضى من الليل خمس ساعات، وردّه، وأصبح فلم يأكل الطعام، فمات عند الظهر، ولو لم يزد له لكان سالكاً، وأن كان ما للحجّي قاتل، ولا للميت من يحييه.

ذكر

علاج البياض إذا أصاب عين البازي

إذا أصاب عين البازي بياض فخذ ديكاً فأذبحه وقطّر في عينه من مرارته فإنه نافع إن شاء الله.

ذكر

ما يولد القمل في البازي وصفة علاجه

أعلم أن القمل يولد في البازي لسبب نذكره، وذلك أن البازيار إذا أطعمه ربما يجلي على منسره شيئاً من الطعام به البازي، ولا بد له من أن يطوي، فإذا جعل رأسه تحت جناحه أكسبه ذلك القمل الصغار والكبار، وإذا أصابه فما يهنيه أكل ولا نوم ولا صيد. وقد حدثنا أن الكبار تأكل الصغار وهو مذيب للجراح، ويمصه حتى يتركه جلدًا على عظم، وعلاجه أن تأخذ من الزرنوخ الأحمر سجّل الماء مقدار ما تعلم أنه يكفيه، وتقبض البازي إذا طلعت الشمس. وللقمل أمكنة معروفة يكون فيها، فمنه ما يكون في عنقه، وفي أصول الريش من تحت جناحيه، وفي عكوته وفي نيفقه، ولم نرأبغ من الزرنوخ في قعله. وقد وصف المتقدمون في كتبهم زيب الجبل والمسك والذي ذكرناه أبغ وأنفع.

ووصف للقمل أيضاً أن يلفّ البازي بخرقه جديدة، ويدخل به الحمام ويصبر به ساعة، فإنه لا يبقى عليه شيء من القمل.

ووصف له أيضاً أن يجعل في عنقه طوق صوف ويدخل به الحمام، فإن القمل يخرج في الصوف. والسالم الذي عملناه وجربناه هو الزرنوخ. ومن رسم الجراح إذا زرنخ أن يراح ثلاثة أيام ثم يشدّ، فإن ذلك نافع له.

وقد وصفنا الجيد والرديء وذكرنا حالتهما ومبلغ فعلهما، والانتفاع بهما، فأعمل على أيهما شئت.

ذكر

علاج المسمار إذا أصاب كف الجراح

إذا أصاب المسمار كفّ البازي فعلاجه بعلك البطم. وقال بعض البصراء ليس يقلعه شيء إلا الكي، وهو مجرب وهو أنفع ما عولج به المسمار، ثم يعالج بعلك البطم والمرهم، وتلبّد كندرته بعد ذلك، ومن الناس من يلبدها قبل ذلك، ويبللها بالماء والملح، وذلك مما يقلع المسامير من أصلها وقد جربنا ذلك وصح. وأكثر ما يصيبه المسمار الصقور والشواهين.

ذكر

ما يحدث الورم في الكفين وصفة علاجه

أعلم أن الورم في الكفين يحدث من جهات، فمنها ما يكون من التخمّة، ومنها ما يكون من مادة تنصب إلى الموضع حادة، والفرق بين ورم التخمّة وورم المادة أن تجسّ الموضع، فإن وجدته بارداً فالورم من التخمّة، وأن وجدته حاراً فالورم من المادة الحادة، وقد يحدث الورم أيضاً من فتيلة أصابعه فترم لذلك كفه، فإن كان من التخمّة فليس غير البطم، والأدوية التي تجذب ما في كفه من الفضل، وأن كان الورم من دم أخذت له القاقيا والمغاث والمرّ ودقيق

الشعير وبياض البيض وطلينه به، وأن جعلت معه شيئاً من ماء الهندبا وماء الكزبرة الرطبة كان أصلح، وهو يصلح للمادة والقتلة التي ذكرنا ويضع منها وقد يكون ورم أعلى الكف من الدود، وقد بيّنا علاجه في باب الدود، وإذا أردت أن تبطّ كفه فاللف عليه خرقة كتان مبلولة وخلها ساعة طويلة ثم أفلعها وأقشر موضع الورم بسكين، حتى يتبين لك، وأشرطه طولاً لا عرضاً بمبضع، وأحذر أن يصيب عروقه وعصيه شيء، وأغسل عنه الدم، وأدهنه بدهن ورد، وضع عليه لوقته صفرة بيض نبيء، وأشدده بخرقه، فإنه يبرأ بأذن الله، ولم تصب هذه العلة عندنا غير شاهين واحد فعالجناه بما ذكرناه فبرئ.

ذكر

علاج القلاع

إذا أصاب البازي القلاع فحنكه بالصبر والعسل، فألمها نافعان، وأتن نزلا في جوفه خرطاه ونفعا، وأن شئت أن تشق موضع القلاع بمبضع وتحشوه بحصاة كافور فأفعل، فإنه نافع إن شاء الله.

ذكر

ما يتبين به كون الدود في البازي وصفة علاجه

إذا رأيت البازي ينتف ريشه فأعلم أن ذلك من دود يكون في جوفه، وربما نتف من يئفقه، ودواؤه أن تأخذ من قشر الرمان الحامض فتدقه ناعماً، وتذرّه على البشتمازك من ماعز، وتطعمه للبازي ثلاثة أيام، فإنه يبرأ بأذن الله، ومن صفاته أيضاً أن تأخذ رمانة حلوة فتعصر ماءها ثم تقطع البشتمازك صغاراً وتلقيه فيه، وتطعمه البازي فهو نافع له.

ومن صفاته أيضاً أن تأخذ من الحمص الأبيض جزءاً فتقليه قليلاً خفيفاً، ثم تقشره وتعم دقّه، وتأخذ ثلاث قطع لحم فتبلطخها بيسير من عسل، ثم تذر عليها ذلك الحمص، وتطعمها للبازي، فإنه يرمي ما في جوفه من الدود بأذن الله. ومن صفاته أيضاً أن تأخذ لفتة فتقورها ثم تملؤها ماء، وتسخنها على النار، وتطرح فيها من بشتمازك مقدار نصف طعمه فإنه نافع إن شاء الله.

صفة علاج الحرّ

إذا أصاب البازي الحر فأجعل له في طعمه دهن ورد وماء ورد يومين فإنه نافع وقد جربناه، ولم نر عليه إلا خيراً.

صفة علاج مخاليب الجراح إذا تقلعت

إذ رأيت مخلب البازي قد أنقلع فأعمد إليه ودمه يسيل وارده وهو طري، واللف عليه طاقةً دقيقة من مشاققة وسقّه بدهن البزر الحارّ فإنه نافع مجرب.

ومن صفاته أيضاً أن تُلّف عليه المشاققة وتدهنه بدهن الأركاع. ومن صفاته أيضاً العنزروت ودم الأخوين.

صفة علاج البرد

إذا أصاب البازي البرد فعالجه بالأشياء للسخنة التي تدفعه، فمما تبتدئ به إذا كان في الصيد أن تتقدم بكس بيته وتنظيفه، وإذا كان عند عشاء المغرب ملئ له كانون ناراً، وجعل في بيته، فإذا رجع من الصيد نُجِّت النار من بيته وأدخل فيه، وشدّ على كندرته، فأن ذلك نافع له، فإذا أصبح فبكر عليه بطعمه، وليكن من مخلف رطب قد مججته في الليل حمراً عتيقاً فإنه نافع له ولا سيما إن كان قد عرق في يوم الصيد وما مثله وقد جربناه. وإذا خرجت به إلى الصيد فليكن معك في الخريطة حمام قد مججته حمراً، فإذا كان عند عرقه البازي، وأردت أن تشبعه فأذبح الحمام وأطعمه منه فإنه نافع إن شاء الله.

صفة علاج اعوجاج ريش الجناح

إذا رأيت ريش البازي قد تعوّج وكاد أن ينكسر فأغسل له ماء حاراً مع شبت أو خطمي وصف الماء وأغمز ريشه فيه وقومه، فإنه يستوي إذا جفّ، وإنما يصيبه ذلك من اضطرابه مع طير كبير، أو من على يد أو من تقيض، فأعمل ما وصفنا لك فإنه نافع بأذن الله.

صفة علاج العقر إذا أصاب كف البازي

أعلم أن سبب العقر في كف البازي أنه يجد الدم فيعبث بها حتى يلميها، وعلاجه أن تدق دم الأخوين ناعماً وبلّ موضع العقر، وتشره عليه، وتلصق عليه جلداً مالحاً قد طليته بيسير من صبر مبلول فإنه لا يعاود العبث بما بمنسره إن شاء الله.

ذكر

ما يحدث السدّة في المنخرين وصفة علاجها

أعلم أن السدّة يحدثها الدخان والغبار، وعلاجها أن تقبض البازي، وتقطّر في منخره دهن ورد أو بنفسج، وتنظفهما بأسفل ريشه، وإذا أطعمته فليكن معك جناح حمام عليه بعض اللحم، ودعه ينتفه فإنه لا بد أن يسيل من منخره الماء فيعطس لذلك، ويخرج ما في رأسه من الداء في عطاسه فيزول ما في منخره. وقد يجنّك لذلك أيضاً بالصبر فينتفخ منه رأسه وتفتح السدد، ويجعل قبل التحنيك فيه يسيراً من دهن ليسهل ذلك عليه.

ومن صفاته أيضاً أن تأخذ رأس ثوم فيدقّ بخل كرم عتيق، وتقطّر في منخره منه، وتمسكه على يدك ساعة، فإنه ينفض ما في رأسه ثم تشده في الشمس، وتضع عنده ماء يغتسل فيه فإنه يبرأ وأن تعذر عليه أمر السدّة فخذ له سلقاً فأسلقه، وكمّد به الموضع ثلاثة أيام أو أربعة فهو خير ما أستعمل له إن شاء الله.

تم علاج البزاة والحمد لله رب العالمين

ذكر

من يصلح أن يستخدم من الكنادر

إذا أردت أن تمتحن الكُنْدرة فقل له ادخل إلى البيت وأخرج البازي، فإذا دخل ومعه أصل جناح، وقدم يده على سائر جسده، ولقي البازي وحلّه من على الكُنْدرة، وقدم يده على سائر جسده، إذا أراد أن يخرج من الباب، وكذلك إذا أراد أن يركب عمل ببازيه مثل العمل الذي أخذه به من الكُنْدرة، وإذا أراد أن يدخل البيت قدم يده على سائر بدنه فأعلم أنه فاره فلا تفرط فيه، واستأجره بما أحب فليست تصيب مثله. وإن قلت للكُنْدرة أخرج البازي من بيته فدخل وما معه شيء فأعلم أنه ما يحسن شيئاً، ولا يصلح إلا للصقور، وليس يصلح للشواهين. وتسوى أجرة الأول دينارين في الشهر على اللعب وزيادة، والثاني تسوى أجرته ديناراً ونصفاً إلا أن يكون من البرُّسبين الذين يباشرون صيد البلشون بأنفسهم فإنه يسوي كل الأجرة. وهذه أجرة ذكرناها للمكان الذي نحن بسبيله، فيجعله من شاء مثلاً له، والزيادة والنقصان بحسب اختلاف الأسعار في البلدان، وعلى قدر صلاحها وقهق المؤونة فيها والأجرة تزيد وتنقص فإذا حصل النشيط فما مثله، وكسلهم به يضرب المثل، وما كل الكنادر يحسنون تخليص البازي من على طريدة، ومن شرطه إذا صاد الطريدة أو الطير أن يذبح في كفه، ويخرج له القلب، ويترك حتى يشبع من النصف، ثم يخرج له فخذ من الطريدة يدعى به إلى البِد، فإذا رآه صعّد على اليد ولم يعجب إن شاء الله.

باب

تفضيل الصقور على الشواهين

لما فيها من الفراهة وهو السبب الموجب لتقدمها وذكر ألوانها وأوزانها

و

صفة ضرائقها

إنما وجب ذكر هذا الباب لأن سائر العلماء واللُّعَّاب قدّموا الشواهين وقدمنا نحن الصقور لما رأيناها فيها ولم يكن بدّ من ذكر السبب الموجب لذلك، ونحن نشرح حالها ونذكر صيها، بعد أن تأتي على ذكر ألوانها ومبلغ أوزانها، وصفة ضرائقها، ونحكّم من يقع كتابنا هذا في يده علينا وعلى من قدّم الشواهين على الصقور، ببصيرة العلم لا بغلبة الشهوة والعصب، فهو أشبه بكل عالم وألزم لكل حاكم.

ذكر ألوانها

الأشهب الكثير البياض وهو الحصاوي وموطنه الجبال والبراري. والأحمر ومأواه الأرياف والسهول. والأسود البحري وهو الذي يشتم في الجزائر على شاطئ البحر. والأصفر والأخضر وهو الذي يضرب ظهره إلى الخضرة وقل من يعرف هذا اللون.

ذكر أوزانها

فمنها ما يكون وزنه رطلين ونصفاً بالبغدادى، ومنها ما يكون وزنه على الصيد رطلين وتلثاً. ومنها ما يكون وزنه رطلين.

صفة صرأتهما

إذا صيد الصقر من الكوخ فيجب أن تخاط عيناه ولا يزال كذلك إلى أن يمضي له أسبوع ويهدأ على يد البازيار، وبيازرة المغرب لا يخيطنونه وهو أقل لعمره والله أعلم بذلك وأحكم. فإذا هدأ فأفححه وأجلس به بين الناس ليأنس. وله دليل يعرف به هدوه، وذلك أنه يملاً زهره طعماً ولا تكثر عليه من رش الماء، وهو وحشي فإن ذلك يورثه السورنك فإذا أخذ الحمام في الطوالة وجاءك من البعد ووثقت باجانبته فأجعله في السباق وحده، فإذا جاءك من كل مكان ولم يبق في دَعْوِه شيء فإذا أضريت منها عدة على ما رسمنا لك فأدعها اثنين اثنين على الحمام أعني الصقور، فما كان منها مشابكاً فأفرده، وما اتفق منها على الدعو فأعزله، فإذا أردت أن تكسر على الكسيرة فمنها ما يصلح للوبر ومنها ما يصلح للريش. فالجافي من الصقور للوبر، واللطيف الخفيف للريش، وهو لميح على البلشون لأنه يحتاج إلى أن يرقى في السماء وهو أملح ما يكون، وما يعرف في العراق هو طلق حسن نحن نذكره في كتابنا هذا إن شاء الله.

وهو أن تعمد إلى بلوشن فتخييط عينيه وتوصي الكندرة إذا رأى بلشوناً وحشياً فليطلب مكانه ولتكن معه شبكة ينصبها في موضع ذلك البلشون بعد أن يطرده، ويجعل ذلك البلشون المخيط في موضع البلشون الوحشي، فإنه إذا رآه في موضعه جاء إليه ليحامي مكانه، فيقع في الشبكة فخذه، وما أردت منها على هذه الصفة فأنت تأخذه. ولم أر أحكم من البركسبين بذلك وهم يسمون البلشون البو (فردان) وإذا حصّلتته فأرجع إلى البيت، وأخرج من غد إلى الغيط، وليكن معك من يحمل البلشون وخط عينيه، وأشدد على صلبه قطعة لحم من الخريطة، فإن الصقر إذا رآه على تلك الحال نزل عليه، فإذا عملت به ذلك وأخذ الصقر فأنقص من الطعم الذي على صلبه في كل يوم، حتى يصير يخرج إليه بلا طعم، فإذا فعلت به ما رسمناه وصار يخرج إليه من كل ناحية فأخرج إلى الغيط وليكن معك بلشون مشرق، وأستتر في خليج، وطيره من يدك فإن كنت قد آخيت بين صقرين فأرسلهما عليه، فإذا أخذه فأذبحه وأشبعهما عليه. ثم أغب الخروج إلى الصحراء غد ذلك اليوم، وأخرج بعد غده وليكن معك واحد مفتوح طري، وأستتر وطيره، وأرسل عليه الصقور، فإذا صادته فأذبحه، وأشبعها عليه شبعاً جيداً، ثم أغبها غد ذلك اليوم، وأخرج إلى الغيط وأطلب نقعة ماء عليها بلشون فطيره وأرسل عليه، فإن صادت فأشبع عليه، وأن أحسنت فأشبعها فأتمها تصيده وتكون فرهاً، ما بعدها شيء طول الشتاء، فإذا كان الصيف فأعمد إلى إوزة بيتية زرقاء فخط على عنقها لبداً أحمر، وخط عينيه وأشدد على صلبها اللحم كما عملت في البلشون وأكتفها وثيقاً لئلا تضرب الصقر إذا جاءها، فإذا خرج إليها من كل ناحية فأخرج إلى الغيط، وأوقفها في حلقاء وأجلس ناحية، وأكشف رأسك لئلا يعرفك الصقر، فإنه خبيث إذا عرف الخريطة لم يجيء منه شيء، وكل أسود العين كذلك فإذا فعلت ما رسمناه لك وخرج إلى الأوزة على بعد، وصار كما يخرج بجلي على يدك الغيط كله، فأقلع اللبد من عنق الأوزة وأذبح في كف الصقر كل ثلاثة أيام، ولا تنس لأن تذبح في كفه أولاً، وأفعل ذلك ثلاث مرات فإذا انتهيت إلى ما رسمناه من ذلك فأطلب مكاناً فيه حبرج كبير وطيء، فيكر إليه قبل طلوع الشمس، فإن الصقر كما يدخل الحلقاء يجليه، فأمض معه حتى تحق أنه جبرج، ثم أرسله عليه، فإن صاده فأذبحه في كفه وأشبعه، وأن أحسن فأذبح في كفه حماماً وأشبعه وأغب الخروج غد ذلك اليوم، وأخرج بعد غده وأطلب به حبرجاً وطيئاً، فإنه يصيده إن شاء الله فإذا

صاده فأشبعه من لحمه فإنه حلو طيب، وأن أحسن فأشبعه أربعاً أو خمس مرات، ثم نقله من واحد إلى اثنين، لتفروه صقورك عليه، والذكر من الحبرج يسمى الحوب والانتى فداده، ولقد شبرنا جناحي الحوب فكان طولهما ثمانية عشر شبراً والأنتى دون ذلك، وله لحية ومذبحه تحتها، وما كل من صاد الحبرج عرف أن يذبحه، وهذا مما تفرد به البركسيون دون غيرهم، وما يحسن بيازرة العراق من هذا شيئاً، وقد ذكرنا ما هو من صيدهم وصيد غيرهم ونحن نصف كيف يضري الصقر على الغزال وبعد ذلك نذكر كيف يضري على الكركي، وبه يفخر في العراق. وقد رأينا بيازرة من أهل العراق ممن يدعي صيد الكركي بالصقر ولم نرهم يصيدونه، ورأينا أهل مصر يصيدون به الكركي والحبرج جميعاً، غير أنهم بصيد الحبرج أقعد.

ولقد بلغنا عن رجل كان في أيام الأحشيد يعرف بابن سعد الهاتم أنه صاد الكركي بالصقر، وكان ذلك أعجوبة عندهم. وبعد فراغنا من ذكر الصيد نصف ما تحتاج إليه من آلة القرنصة ونذكر ما هو نافع من عللها إن شاء الله.

صفة ضراءة الصقر على الغزال وذكر ما يحتاج إليه من الآلة

وكيف يضريه المغاربة وهم أقدر على الغزال من أهل المشرق ونبين ما نأتي به من ذلك ونبدأ بذكر ضراءة المشاركة وأي وقت تكون من السنة

أعلم أن أهل المشرق يتدثون الضراءة على الغزال وقت الجدي، وذلك في الربيع، فأول ما يعمل أن يؤخذ جلد غزال صحيح فيحشى تبناً حتى يقوم ويجعل له في موضع القوائم عيدان ويحيط كل فتق منه ويشد بين قرنيه اللحم شداً وثيقاً، ويطعمه الصقر إلى أن يخرج إليه، وكلما جاد خروجه قصص من اللحم، حتى يصير يخرج إليه بغير لحم، فإذا عمل ذلك بعدة من الصقور وصارت تخرج إليه، خرج الإنسان بها إلى الصحراء وأخذ معه من يعرّقب لها الغزال ويجريه، وذلك أنه يأخذ جبل قنّب يكون طويلاً، فيشده في رجل الغزال فوق العرقوب بأنشطة وتجمل الصقور في موضع لا ترى منه الغزال، ويتوارى الإنسان الذي في يده جبل الغزال، وليكن مستقبلاً للريح، ثم تُخرج الصقور فإذا رأت الغزال فلترسل عليه، فإذا رآها الإنسان الذي جبل الغزال بيده خرج وصاح على الغزال، حتى يجري ويجري معه لتعمل عليه الصقور فإذا علقت به جرّه إلى الأرض وذبحه في أرجلها، وأشبعها عليه شبعاً جيداً، وروّحها يوماً في البيت وأعادها، وأخذ معه غزالاً، وعمل به مثل عمله بالغزال الذي قبله في غير ذلك المكان، وأجره أكثر من الجري الأول فإذا علقت به الصقور ذبحه وأشبعها عليه، وأراحها يوماً وجعل طعامها ذلك اليوم من قلب خروف أو من لحم حارّ وزن خمسة دراهم لكل واحد منها، ولا يطعمها عنقاً ولا رشاً فأثما تمسك إلى آخر النهار. ولقد كان عندي صقور قد تدهقنت فكان يصيبني معها ما ذكرته.

وحدثني شيخ من لعاب الغزال أنه كان يأخذ من صوف فرو عليه فيجعله في الدم ويطعم منه الصقور يوم اللّعب وفيها الكريم والندل. فإذا أرحتها وعزمت على الخروج فليكن معك غزال، وبكر إلى الصحراء وأبعد بها إلى أن تئأس من العادة، وأعط الغزال لمن يحب في مخلاة وأقطع فرد عرقوبه، أو فشق بعض أظلافه بالسكين شقاً جيداً وخلّه في الصحراء، ولا يكن معه أحد، وأخرج الصقور، فإذا رآته واشتهته فأرسلها عليه، وصح على الغزال ليجري ولا يقف، وليكن مع غلام كلب مفرد، فإن عملت عليه وصادته، فأذبحه وأشبعها عليه شبعاً جيداً، وأن خشيت أن يسبق الغزال الصقور فأرسل الكلب وأشبعها عليه، وأرحها كما رسمنا لك، فإذا عملت ذلك ثلاث مرات فأخرج إلى الصحراء وأطلب جدياً صغيراً فأرسلها عليه، فأثما تصيده ولا ترجع عنه إن شاء الله. ولا تزال تصيد به

الجداء وكلما صادت أشبعها حتى تريد فراحتها على الجدي فحينئذ فأطلب بها شاة على ما رسمنا لك. ثم تدخل القرنصة وقد بقيت على ثلاث ريشات من كل جناح، ثم تطرح في القرنصة، وليس تطرح عندنا بمصر إلى أن يجيء الصقر الجديد وهو الفرخ، وذلك يكون قبل النوروز أو بعده.

وقد رأينا في سنة من السنين صقراً صيداً ببلييس قبل النوروز بشمانية عشر يوماً، وما يحتاج الصقر إذا طرحته إلى علاج غير التقوية والطعم الحار والشيرج المقتشر مع اللحم الحارّ في كل جمعة ثلاثة أيام، فإذا استراح وبردت عنه من البرود المقدم ذكره في كتابنا هذا، ومضى له عشرون يوماً سللت ذنبه فإنه يخرج بعد أربعين يوماً بمشيئة الله، وإن كنت عودته الماء فلا تقطعه عنه في كل جمعة وإن لم تكن عودته الماء فليس يشربه. وقد شرحنا ما عندنا في الضراعة على الغزال وهو فعل أهل الشرق.

صفة ضراعة المغاربة

أعلم أن ضراعة المغاربة كضراعة أهل الشرق وما بينهما غير اختلاف الأوقات، وأول ما يضرّون الصقور يصيدون بها النيس من أول السنة إلى آخرها ما يعرفون غير النيس والشاة، وقد رأيت من فراهة طيورهم أمراً عجيباً لأنّها كانت تجيء من الغرب وبرقة ومن عند ابن بابان، وما من الصقور شيء أقول أنني أضربته على الغزال، بل كنت ألعب بها فرها من الغرب.

ولقد وصل من عند ابن بابان عدة صقور ومعها شاهين وكان من الفراهة على حال تجوز الوصف. وإن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ركب ليلة إلى الجبل فرأى قطعة غزالان فأرسل عليها الصقور فانفردت منها شاة، فأخذ ذلك الشاهين من يدي وأرسله عليها ومضينا على الصقور وقد صادت، ونسينا الشاهين فرجعت أطلبه فما رأيت مع الطيور. وجاء البيازرة فسلمت الطيور إليهم، وقلت قد تلف شاهيني وركبت فلقيت مولانا صلى الله عليه صاحب العصر والزمان فقال: أين شاهينك؟ قلت: أحسبه تلف فقال: ما قصرت. وكان ذلك غاية ما عنده إذا حرد مضاهياً لأخلاق جدّه رسول الله صلى الله عليه إذ يقول الله تعالى فيه عليه السلام لحسن خلقه: وإنك لعلی خُلِقَ عظیم. وأخلاق بمن كان ابن محمد بمن كان ابن محمد وعلي وفاطمة أن يكون خُلِقَهُ كخلقهم صلوات الله عليهم أجمعين.

فرجعت وقد لحقني غمّ عظيم وكان تحتي فرس من جياذ الخيل، ومعني جماعة من عبيدي. وتماذى صلوات الله عليه في الصيد، ولم أزل أطوف في الصحراء إلى قبل المغيب، فرأيت شيئاً عن بعد ففرت منه فنفر بي الفرس، فتماذيت فإذا بالشاهين على الشاة قد قطع أذنيها وتلطح بلمها، وهو وحده بغير كلب معه ولا معين، فركضت إليها فلما أحسّت بي قامت فعدت طالعه في الجبل، وقلع الشاهين رجله عليها وتبعه فلحقها فأمسكها فنفضته وعدت فلحقها فصادها، ثم أحسّت بي فقامت فعدت إلى أن جاءت إلى ستره فرقدت فيها، وقلع الشاهين رجله عليها، ونزلت فكبرت وذبحها وأشبع الشاهين عليها.

ورجعت لأعرف مولانا صلى الله عليه فلقيني عمي رضي الله عنه فقال: يا مولاي وجدت الطير؟ قلت: نعم فقال: قد شغلت قلب مولانا صلى الله عليه وجننا جميعاً إلى مولانا صلى الله عليه فقبلنا الأرض فقال: وجدت الطير؟ قلت: نعم فقال: كيف كانت الصورة؟ فحكيتها له صلى الله عليه فقال: ما سمعت قط نظيراً لهذا، ولا سمع به سامع، ثم عاد إلى قصره المعظم المعمور بالعز الدائم وما رأيت قط مثله ولا احسبني أرى.

وقد رأيت من الصقور ما لم يسمع بمثله كثرة تصيد الغرلان، ولكن يرسل ثلاثة على التيس واثنان وهذا ما لا يعرفه أهل الشرق إذ كانوا بعد سنتين أو ثلاث سنين يصيدون التيس والمغاربة يصيدونه من أول سنة، فلذلك كثر العجب منهم.

ولقد استأذنت مولانا صلى الله عليه سنة من السنين في الخروج إلى ترنوط، والمحدرت في البحر قبل العشاء، وكان ذلك في أشد ما يكون من الحر فبلغناها الصبح، ومعنا ثمانية أطياف ففرقتها فرقتين، فأخذت أنا أربعة ولم تكن من إصلاح، وكان فيها واحد يسمى أبا غلبون، ونزلت إلى الابليز وطلعت الفرقة الأخرى فوق، فصادوا أربعة اطلاق، وصدنا نحن أيضاً أربعة اطلاق ثلاثة تيوس وشاة بفرد كلب، فصار الجميع ثمانية اطلاق، واشتد الحر، وأشيعت الطيور، وما رأيت قط من صاد ذلك بمصر، ولا تصاد أبداً بمثل العدة التي كانت معنا.

وقد رأينا من علل الطيور التي تأتي بها المغاربة ما لم نعرفه، فمن ذلك علة تأخذ الطير في حكة الأعلى مما يلي رأسه، وهم يسمونها الدكرارة، ومتى أصابت جارحاً قتله، ورأيت لهم في الحفا (كذا) شيئاً مليحاً، وذلك أنهم يعملون للجراح سفرة من آدم، ويجعلون فيها ثقباً يخرج محالبه منها، وهي تجمع بخيط مثل السفرة وتشد تحت السباق ولا تضره ويصاد به.

باب

صفة الشواهين

وذكر ألوانها وأوزانها وصفة ضرائقها

فمن ألوانها الاسهريج وهو الذي يغلب عليه البياض والأحمر والأسود وهو البحري الخالص. وأوزانها من رطلين ونصف بالبغدادى إلى ثلاثة أرطال وربما زاد ذلك ونقص.

صفة ضرائقها

إذا صدت الشاهين من الكوخ، فحيط عينيه ليهدأ على اليد أياماً، ثم افحه وشرقه فإنه مثل الباشق وهو أرق من الزجاج التي تنكسر من أدنى شيء. والصقر أصبر منه على الكد، فإذا أنس فادعه في الطوالة على الحمام، فإذا جاء فأشبعه عليه ثم صيحه به غد يومه فادعه، فإذا جاء وقرب من الحمام فاستره عنه، وصح في وجهه فإذا ولى والطوالة فيه فهو يلتفت، فإذا رد وجهه فارم له الحمام، فإذا أخذه فأشبعه عليه وصح به أيضاً فاجعله في سبقه وخذه على يدك، وأراه الحمام وخله من يدك، فإذا دار عليك دورتين أو ثلاثاً فارم له الحمام وأشبعه منه، فإذا عملت به ذلك وسكن طبقة جيدة، فاجعل في الخريطة طيرة ماء وخذ الشاهين فارفعه فإذا سكن الجو فأخرج الطيرة من الخريطة وطيرها له، فإذا أخذها فاذبحها وأشبعه عليها وارده إلى البيت واشدده، فإذا كان بعد ثلاثة أيام فاجرح به إلى العيط، وخذ معك طيرة ماء، واطلب به ساقية فيها طير ماء، وارفعه حتى يأخذ طبقتة في اللور، فإنه كلما علا كان خيراً له على طير الماء، وطير له إذا كان فوق الريح وطير الماء تحت الريح فإن ذلك خير له، ولا تطير له إذا كان تحت الريح، فإن ذرق فأشبعه، وأن احسن فأشبعه فإنه يصيد، وأحفظه في الاجانة فإنه متى كان مستغنياً مرّ، ومتى كان ناقصاً لم يصعد، لأن الدوران من رفته (كذا) فمتى حصل في تيك الطبقة صعب عليه النزول إليك، ومن طبعه

الهرب، ومتى بات ليلة لم ينتفع وكان متعوداً للهرب، ومتى اشتهى شيئاً لم يرجع عنه. ومن طبعه أنك تضربه على كسيرة فيصيدها يوماً واثنين ويرى ما لم تكسره له فيصيدها وأن لم تطعمه عليها وذلك من جوهره وهو سريع التوبة عنها، وذلك أنه يصيد اليوم طريدة وإذا رآها في غدٍ حوّل وجهه عنها، وذلك من رفته، ولو كان شجاعاً لما رجع عنها. وقد رأينا الصقر يرجع عن طريدة وإذا رآها بعد ذلك لم يرجع عنها، وكان عليها أفره منه في الأول، وذلك لأنه أفره من الشاهين من حيث كان، وهو يصيد ما يصيد الشاهين، لأن الشاهين يصيد طير الماء، والصقر يصيد طير الماء، ومن صيد الشاهين الاوز، ومن صيد الصقر الاوز، ومن صيد الشاهين البلشون، ومن صيد الصقر البلشون، والصقر أفره من الشاهين، وأصبر منه على الكد، وأبقى على الفراهة، وهو مطبخ الصعلوك)؟ (لأنه يصيد من الغزال إلى الكركي وهو أكبر ما في الريش والغزال أكبر ما في الوبر والشواهين والصقور تصيد ذلك ولا ترجع عنه.

ولقد قرأت حديثاً في الشواهين أن إنساناً كان له شاهين، وأنه كان يصيد الكراكي فهو في بعض الأيام على يده إذ رأى كركياً على بعد فوثب، فأرسله عليه فصاده، وأنه حرك ليلحقه فعارضه في الطريق ما شغله عن الشاهين، وأنه الفت فرأى الشاهين مرخي الجناح، مفتوح الفم، فجاء ليأخذ فهرب منه، ولم يكن له عادة بذلك، وكلما جاء ليأخذه هرب منه ولم يزل كذلك أن جاء إلى خراث (كذا) وأنه ذهب ليأخذه فإذا حذاه كساً)؟ (والكركي تحته فأخذه وأشبعه عليه. وما أقرب هذا من الكذب، ولكني حكيت كما وجدته، وعهدة الصدق والكذب على قائله دون حاكبه.

وذكر لي عن إنسان، كان يلعب بالشاهين، أنه أرسل شاهينه يوماً على غداً فراقاه حتى غاب معه في السماء، فلما أيس منه وضجر من طلبته، عاود إلى المكان الذي عوّد أن يشبعه فيه، فرأى فيه غداً فطار، وأن الشاهين انقلب عليها فصاد منها واحداً، وأنه كان بين موضع تلف منه وبين موضع صاده أميال، وأنا أصدقه في هذه الحكاية لأنه كانت لي جلمة وكانت فارهة على القبر تصيد من خمسة اطلاق إلى ستة مراقبة في السماء فلما كان آخر النهار تلفت، فعدنا وتركنها وخرجنا غد ذلك اليوم فدعوناها في موضع عوّدت فيه الدعو، فلم نشعر إلا بما على رؤوسنا فأخذناها، فمن ههنا صدقتنا الحكاية عن الشاهين، ولهذا سمي الشاهين غداً.

ولا بد لمن صنف كتاباً أن يذكر فيه ما يصدقه ويصح في العقل وما لا يصح في العقل ولا يقبله، ليتصفح الناظر في كتابه عقول من يقبل الكذب ويصدقه وعقول من نفاه واستبقحه.

ومتى بات الشاهين عنك لم تنتفع به، واحتجت أن تتعب به تعباً مستأنفاً، ثم إذا أضجرت مرّ، ومتى اعتاد الهرب كان أبداً هارباً ولذلك سمي آبقاً.

ولقد كان لنا شاهين مقرنص، بخلاف الشواهين في الهرب، لأننا مذ لعينا به وإلى أن مات ما هرب منا، وكان يصيد من طير الماء ما كبر وصغر، ولم نر مقرنصاً قط أفره منه، وقرنص عندنا سنّة ولم يتغيّر عن فراسته. ومتى التث عليك جارح ورأيتنه قد صلح على طعم فلا تنقله إلى غيره وألزمه إياه، وقد شرحنا ما عندنا في ذلك. والشواهين ينقسم على قسمين فمنها ما يقال لها البحرية وهي التي تفرخ في ناحية البحر لعظمها، وبياض ما اعتمت به رؤوسها من ريشها، وكثرة ما بها، ورقة ألوانها، والكورستانيات فبضد ذلك من لطافتها وحُمْرة ما اعتمت به رؤوسها من ريشها، وقلة ما بها وغلظ ألوانها، فهذه الأصناف التي ذكرناها المنتفع بها، فما صيد منها في أوكارها قيل لها الغطارييف الوكرية، وما صيد منها حين تطير قيل لها المنتقلة، وما صيد منها وقد استحکم وصاد قيل لها البدرية، وما صيد منها وقد أمطرت قيل لها الممطورة، وما صيد منها آخر السنة قيل لها (المسدرة)؟ (وما صيد منها وقت الهياج

قبل لها الرواجع وأشد ما يكون هياجها من أول يوم في نيسان إلى أول يوم في آذار.
وما لطف من الجوارح فهي ذكور، وما ضخم منها فهي إناث، وإذا أردت أن تعلم جسارة الجوارح من جبينها
فأدخل بيتاً مظلماً وضع يدك عليها فأن وثبت ثم رجعت قبضت على اليد فهو الدليل على جرأتها، وصيدها لكبار
الطير وإن لم تفعل ذلك فليست جريئة.

باب

السقاوات

وذكر أولانها وأوزانها وضرائقها وما تصيده من الوبر والريش وذكر ما يستدل

به على جيدها ورديتها
فمن أولانها الأحمر والأسود ومنها الأسقع الرأس النقي البياض وهو الجيد ومنها ما يكون بلون الحدأة وهو الرديء.
وأوزانها من رطلين بالبغدادى إلى رطلين إلا أوقية وقد يكون أقل من ذلك وأكثر.

ذكر ضرائقها

أعلم أن السقاوات مثل الصقر يعمل بها وهي وحشية كما يعمل به سواء. ومن بيازره المغرب تعلم المشاركة الصيد
بها على الأرنب والكروان والحيارى والغراب. وذكروا أنهم يصيدون بها الحُجْر والحجل. وبالمغرب تكون فرهاً
عليها. وقد صدنا بها الأرنب سنين بغير كلب، ورأيناها فرهاً ما تبقى شيئاً إلا وتصيده إذا أضريت عليه، وهي
صورة على الحرّ، وقد رأينا منها ما يصيد الغزلان والنيوس وهذا ما لا تعرفه المشاركة بالصقور، فكيف بالسقاوات.
وهذا عجيب من السقوى وإقدام. وقد قرنصنا منها عدة على ما وصفنا في كتابنا، ولم نعلم أحداً من اللعاب ذكرها
في كتاب ولا خبر بفراقتها، وأكثر ما يلعب في المغرب بها وبالشواهين، لفراقتها وصلابتها، ويصاد بها أول السنة
قبل أن تخرج الصقور من القرنصة ومعها تجيء القطمان وهي ملاح على الهدد. وقد شرحنا صيدها أول الكتاب
مع الاجلام.

والكويج الذي يصفه أهل المشرق فهو دون الصقر في القدر وهو أحمر الرأس وإذا اجتمع اثنان على غراب أو على
أرنب فما بعدهما شيء، وما تحتاج إلى كلب معها لأنه يفسدها بل تريد من يعينها على صيدها، وقد رأينا منها ما
يصيد الأوز القرطى، وما مثلها عليه حسناً وملاحاً، وكنا إذا صدنا بها الأوز نعجب من إمساكها لها، لأنها لا تخلّيها
أو تجيء البيازره، وهو مليح عجيب ما مثله. وقد ذكرنا في كتابنا ما لم يذكره غيرنا وذلك لكثرة التجارب ومخالطة
أهل البصرة.

باب

العقبان

وأولانها وذكر أوزانها وصفة ضرائقها

فمن ألوان العقبان الأشقر والأحمر والأسود والكاخي، وأوزانها أربعة عشر رطلاً بالبغدادى واثنا عشر رطلاً وعشرة أرطال وليس فيها ما يزيد على لوزن الأول شيئاً.

صفة ضرائقها

إذا كانت العقاب وحشية فيحتاج أن تفرس تفريساً جيداً ويرفق بها إلى أن تجرد. وإنما قدمنا العقاب على الزمَج لفراحتها ووثاقها وصيدها للغزال وما شاكله من الوحش. ونحن نذكر عقبان كل مكان والفرد منها، والغالب من حال اللُعاب بها وما يصاد بها من الوحش.

أعلم أن عقبان المغرب كعقبان المشرق في ألوانها وأوزانها، والصنعة في العمل بهما واحدة، غير أنها أصلب وجهاً، وأصدق نية في الصيد من عقبان المشرق. ولما انتهى صيدها مونا أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين أمر بطلبها، وجعل لمن جاءه بعقاب ألف درهم، فحمل إليه عليه السلام كثير، فأمرنا بحملها وتجريدها فانتبهنا إلى أمره صلى الله عليه، واستأذناه في تجريدها، فتقدم إلينا أن نكسر لها الكراكي فكسرنا لها، إلى أن صارت تخرج إليها خروجاً جيداً، فذبجنا في أرجلها الكراكي، وغيرنا عليها المواضع لثلاث ألف واحد، وأول ما أطعمناها على جيفته حتى عرفت الريشة، وصارت من أي جهة رأتها أثبتته، فاستأذناه صلى الله عليه فأمرنا أن تقنصها للصيد ففعلنا، وركب صلى الله عليه للصيد، وخرجنا فجاز بكراكي، فأخذ العقاب على يده وتقدم بها إلى الكراكي، واستوفى الريح وذلك حق إرسائها، ثم أرسلها صلى الله عليه فصادت كركياً فأشبعناها عليه، وأمر بردها وتصيد عليه السلام بسائر الجوارح ذلك اليوم وكان يخرج بهذه العقاب يوماً ويريجها يوماً إلى أن تطرقت. ثم أمر صلى الله عليه في السنة الأخرى بطلبها شرقاً وغرباً، فحمل منها إليه ما لا يحصى كثرة، فأمرنا بإصلاحها وضرائقها على الكراكي فخرج منها عدة كثيرة فرهاً بطارقة.

ولقد ركب صلى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين يوماً إلى ضيعة تعرف بخراب مقاتل، فصاد بواحدة من العقبان تسمى جليمة ثمانية كراكي، لم تخط مذ أرسلها إلى أن أشبعها طلقاً واحداً، وكانت من الفراهة على حال تجوز الوصف، وكان معها عدة مثلها في الفراهة، وصاد ذلك اليوم صلى الله عليه وسلم صيداً لم يسمع بمثله ولا رؤي أحسن منه، وهو عليه السلام الذي عرفنا أن نصيد بالعقبان الكراكي، لأننا لم نسمع بذلك في الشرق ولا في الغرب، ثم صرنا نطلبها أكثر من طلبنا للزماجة لفراحتها، وكان صيدنا بها لما فيها من الوثاقة والفراهة، وأما إذا علق بالكركي لم يفلت منها، واجتمع عندنا منها نحو المائة وما رأينا من حملها عندنا بدشاخ؟ (مع كثرة الركوب بها في المواكب، من أول النهار إلى آخره، وكنا إذا صعنا بها الجبل صادت الغزلان والأرانب والثعالب وما شاكل ذلك، وإذا نزلنا بها إلى الابلير صادت الكراكي والبلارجات وما شاكل ذلك من الطيور الكبار والحواصل، ولما أكملت هذه الصفات كلها وجب أن تقدمها على الزمَج إذ ليس لها فراحتها ولا تجمع ما تجمعه العقاب. وهذا باب انفردنا بذكره لم يسبقنا أحد إليه فمتى ذكر أحد بعدنا شيئاً منه فقد حصل لنا حق السبق، وعساه أن يكون منا استفاده أو من كتابنا نقله. وكذلك ما ذكرناه من فراهة البواشق وعظم ما صيد بها مما لم يسبقنا إليه غيرنا.

وقصارى من يكون بعدنا أن يلحقنا في ذلك، إذ قد فتحنا له طريق الصيد بها، ودلناه على الضراءة لها، فمتى وقع كتابنا إليه وعمل به رجونا له معرفة ذلك وتسهيله، وإلا كان بمنزلة من تقدم في التقصير عنا. وقد شرحنا في كتابنا

ما يُحتاج إليه من الكسائر وغيرها من الأسباب التي يقوى بها الإنسان على إصلاح الجوارح، ولم نكن نحن نعرف هذه الطرائد المعجزة، وإنما القضييلة لمن أحبها وأمرنا أن نصري عليها، فبإقباله صلى الله عليه ظفرنا بما أقدناه من معرفتها، ولو ذهبنا إلى ذكر ما يبذله من الصلوات ويفضل به من الأرزاق والهبات لم يحط به وصفنا ولا بلغه كنهها.

باب

الزمامجة

وذكر ألوانها وأوزانها وضراءها

فألوانها أربعة: الأحمر والحدادي والأسبهرج والأصفر، وفيها ما يضرب إلى السواد. وأجودها الأحمر الأسود العين وأوزانها ستة أرتال بالبغدادي وفيها ما وزنه خمسة أرتال ونصف وخمسة أرتال.

وضراءها كضراء العقاب وهي أرق من العقاب، وسيلها الرفق إلى أن تجرد، وهي ملاح خفيفة الأرواح، ولها مع ذلك على الكركي لا غير، والمتوسط أفره ما رأيناه منها، ولم نر كبيراً منها فارهاً. وصيلها محكم كصيد البازي إذا أمكتها الكراكي، وهي خفيفة الحمل وتستجيب كما يستجيب الباشق إلى يد الفارس، ومنذ لعبنا بها وإلى حيث انتهينا ما خلبنا عنها، وما يخلو موكبنا في كل سنة من خمسة أو ستة فره، والناس كلهم يقدرون أن يصيدوا بها الكركي، غير أنه لم يتجه لهم في العقبان ما اتجه لنا. وهي تلتا كسائر الجوارح، ويصيبها الجص والاسطارم، وربما أصابها الحرّ والبرد، ويلحقها في أجنتها علة ترمي ريشها تسمى القرض، وربما أصابتها على أخرى في أجنتها فرمت ريشها، وهي تسمى القرخ، وربما عمي الريش في أجنتها واستند مكانه، فلا يخرج حتى تقبض ويفتح المكان ويعالج.

ولم نبق من سائر علاج الجوارح شيئاً إلا وقد شرحناه في باب البازي وغنينا بذكره هناك عن إعادته، لأن ما ينفع الصغير ينفع الكبير من الجوارح خاصة، غير أن كلاً يحتاج العلاج على قدر جسمه، فأن كان صغيراً فالقليل بكفيه، وأن كان كبيراً كان بحسبه وباللّه التوفيق.

باب

ما قيل في العقاب من الشعر المستحسن

قال امرؤ القيس:

كأما حين فاض الماء واختلقت ... صقعاء لاح لها بالصراحة الذيبُ
فأقبلت نحوه في الجو كاسرة ... يحنثها من هواء الجو تصويبُ
صيّت عليه ولم تنصب من أمم ... أن الشقاء على الأشقين مصبوبُ
كالدلو بُنت عراها وهي مثقلة ... إذ خاتما ودم منها وتكريبُ
وقال آخر:

أمير يأكل الأسلاب منا ... ألا قبحا لذلك من أمير

وينهى أن نُغير فأن أغيرانا ... على جيّ أغار على المغير
كلقوة مرقب ترعى صقوراً ... لتأخذ ما حوت أيدي الصقور
وقال آخر:

قليلاً ما تريت إذا استفادت ... غريض اللحم عن ضرر جزوع
فما تنفك بين عُويضات ... تجرّ برأس عكرشة زموع
تعوذ ثعالب الشرقيين منها ... كما لاذ الغريم من التبيع
وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس فبلغ منه غاية كل أحد يرومها بعده يقصر عنها وذلك قوله:
كأنّ بفتحاء الجناحين نضوة ... على عجل منها اطأطي شمال
وذكر حالها ثم قال:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العنّاب والحشف البالي
فجمع بين تشبيهين في بيت ثم أتعبه الناس.
وقال الهنلي:

ولله فتحاء الجناحين لقوة ... توسد فرخيها لحوم الأراب
كأن قلوب الطير في جوف وكرها ... نوى القسب يلقي عند بعض المادب
فخاتت غزلاً جاثماً بصرت به ... لدى سمرات عند ادماء سارب
فمرت على ريد فأعنت بعضها ... فخرت على الرجلين أخيب خائب
وقال آخر وهو امرؤ القيس:

فأدر كنه فنالته مخالبها ... فأنسل من تحتها والدف مثقوب
لا مثلها في ذوات الجو طالبة ... ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت ... منها ومنه على العقب الشائب
ثم أستعان بدحل وهي تحفره ... وباللسان وبالشدقين تريب
فظل منجحراً منها يراصدها ... ويرقب الليل إن العيش محبوب
وقال آخر:

يا ربما أعدو مع الأذان ... والنجم قد رنق كالوسنان
والصبح مثل الأشمط العريان ... والليل كالمتهزم الجبان
بلقوة موتقة الأركان ... غرثي وكم تُشبع من غرثان
كأنما تضمّر للرهان ... كريمة النجر من العقبان
بمخلب يهتك دستباني ... يقل حد السيف والسنان
أشبه معطوف بصولجان ... ومنسر من الدماء قان
كأنه في رؤية العيان ... سبابة من قيمة هجان
مخضوبة تُلوى على دستان ... ومقلة طحارة الأجان
كأنما صيغت من العقبان ... تضمن صيد الجأب والأتان
والطير في ربقتها عوان ... لم تأل أن صادت بلا زمان

صيد الفهد وصفة ضرائته

من أحب أن يصيد الفهد فليعلم كيف يصاد ويُطلب، وكيف يشد إذا صيد، وإلا فلو وقع يوماً على عشرة ولم يحسن طردها وصيدها ومداراتها إلى أن يصل بها إلى منزله لم يلحق منها شيئاً، والفهد لا يُقدر عليه إلا في يس، ويحتاج من يطرده أن يحفظ أثره لأنه متى خفي عنه أثره لم يجده، فإذا صاده فليشدد زوائده بخرقه، بعد أن يطرح عليه كساء ويكتمه، ويجعله في غرارة، وليكن رأسه خارجاً من الغرارة لئلا يموت من الحر، وعندنا بنو قُرّة متعودّة لصيده فإذا صار به إلى منزله فليعرض عليه الماء فأن شربه وإلا رشه على رأسه وأكنافه وخواصره وجوفه، ويعمل له قلادة فيها ملوّن لئلا يدور فتلتوي على عنقه ويكون فيها مجرّ جيد، ويضرب له سكة في مكلاّن بارد ويشده فيها إلى آخر النهار ثم يأخذ من لحم خروف ثلاثة أرتال، فيقطعه صغراً ويرميه في قصعة الفهد، ويحلّ الكمامة عن فمه، ويكون في جنبه، ويقدم له القصعة، فإنه يأكل ولا يزال يمسه، فإذا كان وقت العشاء فليدخل به البيت برفق، ويجعل له قنديلاً في سقف البيت ليضيء عليه، ويسهر معه أكثر الليل بالتمسيح ليألفه، فإذا عمل به ذلك ليالي، وأنس ووقف على قوائمه ودار حواليه فعند ذلك يحل مجره عند إطعامه ويستجيبه بالقصعة، فكلما لحقه رمى له في القصعة قليلاً من طعمه إلى أن يفرغ الطعم، ويعمل به ذلك أياماً، حتى يتبعه مثل الكلب السلوقي، ثم يعمد بعد ذلك فيبني له مثلاً في البيت على قدر الدابة وي طرح عليه الطنفسة التي يطرحها على الدابة، وإذا أراد أن يطعمه جعل طعمه على المثال واستجابة إليه، فإذا سعد رمى له في القصعة قليلاً من اللحم، فإذا أكله أنزل القصعة إلى الأرض فإذا نزل إليها رمى له فيها قليلاً من اللحم، فإذا أكله شال القصعة إلى ذلك المثال المبني أيضاً وصاح به، فإذا سعد إليه أشبعه ولا يزال يعمل به كذلك مراراً حتى يتق إجابته، فحينئذ فليقدم له الدابة، وليكن فرساً هادئاً لا نفوراً، ويستجبه إليه، فإذا طلع على الفرس ولم ينفّر، وصار محكماً، فيخرجه إلى الصحراء ويجعل طعمه فيها، ويحكم إجابته إلى الدابة، حتى أنه يجري الفرس جرياً شديداً، والفهد يجري يطلبه، فإذا رآه كذلك فقد أحكم إجابته، ثم يطعمه يوماً ويُعبّه يوماً، وليكن حول قصعته حلق لتكون له علامة، إذا سمعها جاء إليها ولم يتأخر، فإذا أحكم ذلك فلم يبق عليه في تعليمه شيء فليخرج به إلى الصحراء ويأخذ معه غزلاً ويخله له، فإذا أخذه ذبحه وقدم القصعة، وفيها طعمه من اللحم الطري وجعل فيها من دم الغزال، وإن كان اللحم بائناً ردّه كما يرد البازي، فإذا أشبعه ركب الدابة وأخذه، فإذا عمل به ذلك مراراً فليطلب به غزلاً وطياً فإنه يصيده فإذا شبع وتمهّد عليه طلب به عجول بقر الوحش، فإنه يصيدها إن شاء الله، وهذه صفة الضرائة وما عندنا فيها.

ذكر

الصيد بالفهد وما يستحسن منه

أعلم أن الصيد بالفهد ثلاثة أصناف، فمنها أن يُنزل إلى الوحش ولا تعلم به، ومنها ما يكون مُجاودة، ومنها ما يُخلّى وتطرد له الوحش، وهي ثلاثة أبواب ملاح، وأحسنها ما كان مجاودة. وزعم أرسطاطاليس أن الفهد تولّد من سبعٍ ونمر، ومن شأنه إذا وثب على طريدة لم يتنفس حتى يأخذها، فيحمي لذلك وتمطي رثته من الهواء الذي حبسته. وسبيله أن يراح ريشما يخرج ذلك النفس، وتبرد تلك الغلّة، ويُشقّ له عن قلب الطريدة بعد تذكيتهما،

ويطعمه ويسقى ربه من الماء إن كان الزمان حاراً، ودون الري إن لم يكن الحر شديداً، ثم يُبتغى به طريدة أخرى، ولا يُكَلَّف في يومه أكثر من خمسة اطلاق، وقد يصاد به في اليوم نحو عشرة اطلاق، وإن لم يُرَح لم يُفلح بعد ذلك. ومن طباعه الحياء وكثرة النوم والغضب. ولا يعلم أنه عاقل أتنى وهو في يد الأنس، وقد عني بمراعاة ذلك واجتهد فيه فلم يُعرف منه، والأسد كثيراً يفعلُه.

وذكر بعض الفهادين العلماء بصيدها وطباعها، أنه يمسح الفهد والفهدة ويمر يده على جميع أعضائها فتسكن لذلك حتى تصيب يده موضع بعرها، فيتقلق لذلك وتتعطف عليه لتعض يده. ونومه يضرب به المثل. قال بعض الشعراء يصف نومه:

فأما نومه في كل حين ... فعين الفهد لا تقضي كراها
وقال المكفي ووصف يوم صيد بكثرة وحشه وضراة فهو ده:

فمضى يومنا بين فهود لا تشبع، وطباء لا تجرع. أخبر بذلك عنه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. وقال بعض الكتّاب وعابة قوم بكثرة النوم ونُسب إلى الإخلال بأعماله والتقصير في تنفيذ أموره:

رقدت مقلني وقلبي يقظا ... ن يُجسّ الأمور جسّاً شديداً
يُحمّد النوم في الجواد كما لا ... يمنع الفهد نومه أن يصيدا

وفي طباع الفهد مشاكلة لطباع الكلب حتى في ادوائه ودوائه، والنوم الذي يعتريه شبيه بنعاس الكلب. ومن قول الأعشى في صفة بخيل ممامل:

لاقي مطالا كنعاس الكلب

ورجع بنا القول إلى استتمام شرح الصيد بالدسيس وسبيله في صيده غير سبيل المصحح وهو ابله جداً، لما يظهر منه في تعمله لستر شخصه وخفاء سره، ويرسل على بعد من الطريدة بعد أن يتشوقها، ويتلطف لإرساله من غير قلق، فتراه يمر مثل عناق الأرض رافعاً يداً وواضعاً أخرى، على وزن وقدر متناسب، ما دامت الطباء ناكسة رؤوسها ترتعي، فإذا شالنتها وخاف منها التبيه عليه أمسك على الصورة التي تنتهي به الحال إليها، لا يقدم ولا يؤخر، ولا يرفع الموضوع ولا يضع المرفوعة فإذا طأطأت رؤوسها سلك سبيله الأولى، حتى تقول إنه في تلك الحال كحال القانص الذي وصفه رؤبة فقال:

فبات لو يمضغ شرياً ما بصق

وهذه المشية يقال لها الدأل والدأل يقال دأل له بدأل إذا مشى مشية الختل وأدى له يأدو له ودأيت أدى وفي المثل والذئب يأدو الغزال ليأكله. وفي اللفظ الأول يقول الراجز:

اهدموا بيتك لا أبأ لكا ... وزعموا أنه لا أأ لكا

وأنا أمشي الدألى حوالكا

وقال آخر:

أدوت له لآكله ... وهيهات الفتى حذير

وقد قال المحدثون في طرد الفهد شيئاً كثيراً نحن نذكر ما استحسناه إلا صيد الدسيس، فما وصفه واصف على حق صفة سوى بعض الكتّاب فقال:

قد أسبق الأخوان بالتغليس ... قبل غناء القسّ والناقوس

والروض مثل حلة الطلوس ... والريح مثل نكهة الكؤوس

أو مثل ما أنثوه عن جليسي ... بطالعٍ مصححٍ مقيسٍ
مبراً من نظر النحوس ... أسعد بالثلث والتسديس
بذي دهاء مضحك عبوس ... جهم كُسي من صنعة القدوس
ديباجة من أحسن اللبوس ... كأنما يُبتز من عروس
إبليس أو أمكر من إبليس ... ختالٍ أظبٍ مخبتٍ الحسيس
طبٌ بصيد عفرها والعيس ... لا مصحرٍ للوحش بل دسيس
لطا لطو الحامل الحسيس ... والسطو سطو القادر الأريس
له ديببٌ ليس بالחסوس ... مثل ديب الماء في الغروس
فعلٌ كمتن الجحفل الخميس ... وحشٌ يضاهي حيلة الأيس
حتى إذا أفضى من التأنيس ... إلى سكون النافر الشموس
وحمّت الآجال للنفوس ... أبدلها من نعمة بيوس
أسرع من عين إلى نفيس ... لاه عن الخشغان بالتبوس
مبتدئاً منهن بالرووس ... وجدّة العيش إلى دروس
وما من الأيام من محروس

وقال آخر في صفة الفهد والطريدة:

بذلك أبغي الصيد طوراً وتارة ... مُخطفة الكفال رُحب التراب
مرققة الأذنان نمر ظهورها ... محططة الأذان غلب الغراب
مدربة زرق كأن عيونها ... حواجل تستذري متون المراكب
الحوجلة القارورة، وتستذري يصف مكانها خلف الراكب، وأن ظهره يذريها أي يسترها والذري الستر ومنه:
إذ قلبتها في العجاج حسبتها ... سنا ضرّم في ظلمة الليل ثاقب
مولعة فطس الجباه عوايس ... نخال على أشداقها خط كاتب
نواصب آذان لطاف كأنها ... مداهن للأجراس من كل جانب
ذوات أشاف رُكب في أكفها ... نوافذ في صم الصخور نواشب
فوارس ما لم تلق حرباً ورجلة ... إذا آنست بالبيد شهب الكتاب
تضائل حتى ما تكاد تُبينها ... عيون لدى الصيران غير كواذب
حراص يفوت البرق أمكث جريها ... ضراء مبالّات بطول التجارب
توسد أجياد الفرائس أذرعاً ... مرملة تحكي عناق الجباب
وهذه تشتمل على معانٍ كثيرة وقد سرقها عبد الصمد بن المعدل فقال يصف الفهد:

قد أعتدي والشمس في أوراقها ... لم تأذن السدفة في اشراقها
وصحيتي الأجماد في أعراقها ... على عتاق الخيل من عناقها
نمر بنات القفر من أرزاقها ... تغدو منايا الوحش في أطواقها
قد واتقتنا وهي في ميثاقها ... وفيّة ما الغدر من أحلاقها
مذمجة هيف على أحناقها ... باعدتها التنهيم من أشباقها

ترى بأيديها لدى اتساقها ... وصيدها بالقاع واتفاقها
مثل أشافي القين في انزلاقها ... تقدّ ما تحبب باعتبارها
قد التجار العصب من شقاقها ... كأنها والخزر من حدائقها
والخطط السود على أشداقها ... تركّ جرى الأثمّد من آفاقها
باتت إلى الصيد من اشتياقها ... وجذبها الأعناق من ارباقها
كأسر العجم في أوهاقها ... تضرم في العزاء من تنزاقها
تلهّب النيران في احتراقها ... حتى إذا آلت إلى متاقها
بالسهلة الوعساء من براقها ... في مأمن الصيران من طراقها
ورعيها الناضر من طباقها ... وآنست بالطرف واستشاقها
وجعلت تأشير من إقلاقها ... حُلّت وسمّينا على إطلاقها
وقد حدرنا الوحش من آفاقها ... يسوقها الحينُ إلى مساقها
إدناك الحور إلى عشاقها ... وهي على الغبراء في النزاقها
حدافة تخفى على رمّاقها ... من ختلها للوحش من اسفاقها
كأنها الحيات في اطراقها ... أما رأيت الرياح في انخراقها
ولعة البارق في اتساقها ... وغيبة الشؤبوب في انبعاقها
وطيرة الأقداح في انمراقها ... تهوي هويّ الدلو في أرشاقها
ما أدرك الطرف سوى لحاقها ... وهصرها الآرام واعتاقها
وخصفها الأيدي إلى أعناقها ... شرك الضباع النعل في طراقها
شاصية تشج في آفاقها ... تفحص في التامور من مهراقها
بطح الغواة الوفذ من زقاقها ... لا نصطفي منها سوى حدّاقها
بورك للأمير في رفاقها

وقال عبد الله بن المعتز يصف فهدة:

ولا صيد إلا بوثابة ... تطير على أربع كالعذب

فإن أطلقت من قلاذتها ... وطار الغبار وجدّ الطلب

فروبعة من بنات الرياح ... تريك على الأرض شيئاً عجب

تضم الطريد إلى نحرها ... كضم الحبة من لا يجب

قوله من لا يجب مبالغة في وصف تشبثها لأن ضم الحب من يعلم أنه لا يساعده على الحبة أشد توثقاً ولزماً. وأخذ

هذا من قول العرجي:

فتلازما عند الوداع صباية ... أخذ الغريم ببعض ثوب المعسر

والمعسر كاره لتعلق الغريم به، وكان الصواب أن يوقع تشبثها يدل على أن كل واحد منهما مضاهٍ لصاحبه

بالملازمة، كما قال القائل وهو الجيد:

ثم اعتنقنا عناقاً ليس يبلغه ... تلاصق الطلع في طي الكوافير

وتشبيه ابن المعتز في هذا حسن لأن الفهد مجتهد في التشبث بالظبي والظبي مجتهد في التشبث بالظبي (والظبي مجتهد

في مغالبته وكذلك ضمّ الحب من لا يحبه:
إذا ما رأى عدوها خلفه ... تناجت ضمائره بالعطب
ألا رب يوم لها لا يُدَمّ ... أراقت دماً وأغاثت سَعِبَ
لها مجلس في مكان الرديف ... كتركية قد سبّتها العرب
ومقلتها سائلٌ كحلّها ... وقد حُلّيت سُبجاً في ذهب
غدت وهي واثقة أهما ... تفوز بزاد الخميس الجب
فظلت لحوم طباء الفلاة ... على الجمر معجلة تُتْهَبُ
كأن سكاكينهم نَشَرَتْ ... معصفرةً فوق جزل الحطب
والبيتان اللذان فيهما المعنى مأخوذان من قول عبد الصمد وهما:
كأنها والحزْرُ من حداقها ... تُركُّ جرى الأُمد من آماقها
وزاد ابن المعتز عليه في ذكر الرديف . وقال الرقاشي في صفته:
لما غدا للصيد آل جعفر ... رهطُ رسول الله آل القحجر
بفهدة ذاتِ شوى مضبّر ... وكاهل ناتٍ وعنق أزر
ومقلة سال سواد الخجر ... منها إلى شذق رُحاب المغفر
وذنب طال وجلد أثمر ... وأبطلِي مستأسدٍ عضنفر
وأذن مكسورة لم تجر ... فطساء فيها رحب في المنخر
مثل وجار التفتل المغور ... أدبها اسحق في تقدّر
بالنقل والأشلاء غير ممتّر ... كأن فوق الأعوجي الأشقر
ملكاً ترقى عتبات منبر ... طرّاحة بالطرف ذي التسعر
بين الصوى والصحصان الأغر ... حتى إذا ما آنست كالأصور
سرب طباء بكتيب أعفر ... جاذبت المقود في تأمر
وعلم العبد وإن لم يُخبر ... بجالها أطلقها كالتسور
تنساب كالحية في تستر ... فمرّ بين مقبل ومدبر
مرّاً كلمع البرق لم يُفتّر ... كأن نضج الأرجوان الأهر
منها على الخدين والمعدنر
والمسنّ منها إذا صيد كان أسرع انساً وأقبل للتأديب من الجرو الذي يربى ويؤدب، لأن الجرو يخرج حبّاً والسنّ
يخرج على التأديب صيوداً غير حب، وليس شيء في مثل جسم الفهد إلا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة التي
يحمل على مؤخرها والأنتى أصيد وكذلك عامة إناث الجوارح وهو من الحداد الأسنان، ويدخل بعضها في بعض،
وكذلك الأسد والكلب.

ذكر ما قيل

في ابتدال الملك نفسه في الصيد بهذا الضاري

ومباشرة له وقد ذكر ذلك عن كثير من الجلة والملوك

ونحن نذكره في موضعه من الكتاب إن شاء الله وقد قال بعضهم في ذلك:
ومن شغفي بالصيد والصيد شاغفٌ ... مطاردتي للوحش والفهد لي ردفُ
إذا شئت بأن أعدو عليها ذعرتها ... بسيفين مغوارين تحتها طرف
وأجعل كفي للجوارح منبراً ... وليس بها ثقل عليها ولا عنف
مآرب نفس لا تليها لغيرها ... وعزم قوي ليس في عزمه ضعف
إذا صاد غيري الصيد ثم أكلته ... فلذة ذاك الصيد لي قلما تصفو
وما عاب لبس الدستبان أناملاً ... تليق بها الأقلام والسيف والصحف
فللباز منها موضع ولوضع ... مصافحة الأشراف واللثم والرشف
وإني لممدوح المذاهب جههاً ... إذا لم يحاول غير مذهبه الطرف
وما الظرف إلا جمع كل لطيفة ... بذلك من تفسيره سمي الظرف
وقال الناشي:

وأمر موشي القميص ملّمع ... كأن عليه منه رقماً موشياً
يلوح على خديه خيطان عرجاً ... قليلاً ورداً هابطين فقوماً
مفتل عضدي ساعديه كأنما ... أعيرا بقيد ثم شدداً فأبرما
فنيطت فضول الساعدين وأحكمت ... برصغين لزا بالوصول فألحما
تضمن أظفاراً كأن حجونها ... حجون الصيامي أعجزت أن تقلما
له هامة لو أن كفا رهيشة ... دحتها على صم الصفا لنهدما
وعينان لو تدني إلى قبسيهما ... ذابلاً تذكي منهما وتضرمما
ونابان لو يسطو الزمان على الورى ... بجديهما كان الحمام مقدما
ووجه يجيل الخير في صفحاته ... أبي كيده للخلق أن يتسما
وجفنان يغتال الردى لحظاقما؟ (... فلا يمكنان النفس أن تتلوما
وشدقان كالتارين يلتهمان ما ... من الربد والحمش الأوابد الهما
أجدت له التقويم حتى كففته ... عن الشيم اللاتي أبت أن تقوما
وعلمته الامسالك للصيد بعد ما ... يتست لطبع الجهل أن يتعلما
فجاء على ما شنته ووجدته ... مُحلاً لما قد كان من قبل حرماً
إذا ما غلونا نبتغي الصيد أسمعحت ... لنا نفسه ألا تريق له دما
وما يتولى منه إرهاق نفسه ... ولكن يؤديه صحيحاً مسلماً
إذا لا حطت عيناه خشفاً يرومه ... تنمر في اكتهراره وترغماً
فيكفيه من إحضاره وثباته ... ومن روغان الصيد أن يتجهما
وقال ابن المعتز:

أنعت أمثلاً قذذن قذا ... يشحذها الشوط البطيء شحذا
نوازيًا خلف الطباء جُذاً ... كأنما تجيذهن جيذا

تجدّ غيطان القلاة حبذا ... كالنبل هذتما القسي هذا

لم أدر ذا أسرع شدّا أم ذا

وقال أيضاً:

قد أعتدي قبل غدوّ بغلسٍ ... وللرياض في دجى الليل نفسٌ

حتى إذا النجم تدلى كالقبس ... قام النهار في ظلام قد جلس

بلا حتى الوثبة ممتدّ النفس ... محمّلجٍ أميرٍ امرار المرس

نعم الرديف ركباً فوق الفرس ... ينفى القذى عن مقلة فيها شوس

كالزلم الأصغر صكّ فاملس ... عليه تلويحات وشم ما دوس

لما خرطناه تدلى وانغمس ... وخادع الموت ابن وثاب خُلس

إذا عدا لم يُرَ حتى يفترس

وقال:

انعتها تفري القضاء عدواً ... نوزايًا خلف الطريد نزوا

لا تحسن القدرة منها عفواً ... قد وجدت طعم الدماء حلوا

وقال أبو الحسين الحافظ:

قد أسبق العصم وغير العصم ... يجيد القلب بعيد المم

مدنرّ الجلد خفيف النجم ... كأنه في ثوب خزّ رقم

تحاله بعض نجوم الرجم ... مركّب من عصب وعظم

ما فيه وزن درهم من لحم ... فكم دم أراقه من قرم

معصفر يشبه ماء الكرم ... أنفع لي من شاهدٍ لحصم

قال ودمه إذا خلط بورسٍ وخل عُصلٍ وأطخ به قدم المنقرس سكن ألمها. وتعرض له من العلل الخام والجرب والحفا.

فالخام يعرض له من اعوجاج الرجل ودواؤه أن يطعم اللحم غباً بشيء من سمن البقر وعسل أو يؤخذ قرطم فيدق

ويطبخ حتى تخرج رغوته ويصفى ويداف فيه ثلاث أوراق عسل، ويلقى عليه وزن خمسة دراهم فانيات ويحقن به.

والجرب يعرض له من بوله، وسبيله أن يسط تحته رمل يبول فيه، لئلا يترشش عليه شيء من بوله، والرمل يصفى

شعرته، ودواؤه أن يسحق له الكبريت الأبيض ويخلط بزيت ويغلى على النار ويطلّى به موضع الجرب.

ودواء الحفا قد وصفناه في باب الكلب وهو نافع للفهد إن شاء الله.

باب

صفة الطباء

وذكر مواضعها التي تأويها وأسنانها وصيدها وما فيها من المنافع وما قيل

في ذلك من الشعر

أعلم أن الطباء أصناف تختلف لاختلاف مواضعها، فالبيض منها يقال لها الآرام وهي تسكن الرمل وهي أشد الطباء

حُضراً، والحر تسكن القفاف وهي المواضع العالية، ومنها العصم والوعول وهي التي في أكرعها بياض. والفائدة في تمييزنا إيها علم التصيد بهذه المواضع حتى أنه إذا رأى من هذه الأصناف شيئاً علم من أين أقتنص فينسبه إلى مكانه، والظبي أول ما يولد طلّ ثم حشَف ثم شادن إذا طلع قرّنه، فإذا تمت قرونه فهو شقر، ثم جذع ثم ثنيّ وجمعها تُنيان. لا تريد على ذلك حتى تموت.

قال الشاعر:

فجاءت كسنّ الظبي لم نر مثلها ... شفاء قتيل أو حلوبة جائع

وسأل جعفر بن محمد صلوات الله عليهما أبا حنيفة فقال: ما على محرم كسر رباعية ظبي؟ قال: يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه. فقال عليه السلام: أنت فقيه زمانك، ولا تعلم أن الظبي لا تكون له رباعية، وهو ثنيّ أبداً. وعدوها يقال من الظبي يهقق ويدرق ويطفر وينقر إذا جمع قوائمه ووثب، إذا تخلف من القطيع قيل خذل، وطمر إذا وثب من عال إلى أسفل، إذا طلعت الجزاء من حمارة القيط قالت الطباء في كناسها، ولها نومتان في مكسين مكنس الضحى ومكسس العشي.

ويقال نقلت الطباء إذا انتقلت من مكانس الضحى إلى مكانس العشي، وإنما رعيها في ناجر وهو صفر في الليل، وفي برد الغدوات أحياناً وتلزم الرمل وهو ما استطال، ومن الجبال ما ارتفع، وترعى في ذلك الحزن والقف لشدة حرهما. قال ذو الرمة في انقائها:

إذا ذابت الشمس اتقى صقراهما ... بأفنان مربوع الصريمة مُعبل

إلى ظل هجو ذي أخ يستعده ... إذا هجرت أيامه للتحول

المعبل ما ظهرت خوصبته من الأرتاب. والبهو كناس واسع له أخ إلى جنبه بالعادة والعشي قال وهو ظلّف الظبي لليل يظاً عليه. وإبرة روقه قرنه أول ما يطلع، ومنه قول الشاعر وهو عدي بن الرقاع:

ترجي أغنّ كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من اللوأة مدادها

وقال آخر في حجم القرن:

كأهما فصان من فوق فضة ... من الجزء أوزران بالأمس سوداً

ويستدل عليها بآثارها في الرمل والخبار من الأرض وأبعارها فيما سوى ذلك من الصلابة، وظلفها شديد الأثر فيما تطأ عليه، وشبهه بعض الجان بالهن فقال فيه:

وتكشّف عن كظلف الظبي لطفاً ... وقعر البحر عمقاً واتساعاً

وقال أعرابي:

كأن هنها عند لمس اللامس ... كوطاة ظبي في مكان يابس

وإذا مدح هذا الموضع يكون كما قالت أعرابية:

إن هني لحسن كما ترى ... كوطاة الثور الثنيّ في الثرى

ويستدل على صيد الأرض بشكلها وموضعها من السهل والحزن والرمل والصفاء والانخفاض والارتفاع والآثار والأبعار، وكذلك يقال لكل ذي خف وظلف غير البقر. فأما بعز الغزال فيفرك ويستدل عليه بريجه ولطفه وتدويره قال ذو الرمة:

ترى بعز الغزالان فيه وفرقه ... حديثاً وعلمياً كحب القر نفل

ويستدل على الظبي الكبير بناحه، وإذا أسن الظبي نبج قال الشاعر:

وينبح بين الشعب نبحاً كأنه ... كلاب سلوق أبصرت ما يريها
والظبي يبض إذا قفز ويجكى أنه من أملح الحيوان سكرًا من الشراب ولا يدخل كناسه إلا مستدبراً، يستقبل بعينه
ما يخافه على نفسه وحشفه، وليس يحضر في الجبال، قال الشاعر:
والظبي في رأس اليفاع تخاله ... عند الهضاب مقيداً مشكولاً
ويصاد بالشرك والحباله وإيقاد النار بازائه، فإنه لا يزال يتأملها ويدمن النظر إليه، فيعشي بصره ويذهل عقله، وربما
أضيف إلى النار تحريك أجراسٍ فيذهل لذلك ويؤخذ.
قال الشاعر:

سوى نار يبض أو غزال بقفرة)؟ (... أغنّ من الخنس المناخر تؤم
ويصاد بالناقة وهو أن تتخذ له ناقة تسمى الدرية، ويتوغلون بها في المرعى حتى تكثر الطباء النظر إليها، ويخفي
صاحبها نفسه ويكمن ويستتر، ويأتي متخفياً يمشي إلى جنبها، حتى إذا دنا من الظبي قبض عليه أو رماه من كشب.
قال أبو الطمحان:

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني قانص أدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من يراني ... ولست مقيداً أمشي بقيد
ويصيده الأعراب الشديرو العدو بالجري حتى يقبض على قرنه، وربما حيل بينه وبين المياه، وتُصب له حذاء الحباله
ماء فيهم بوروده، فيقع في الحباله والاشراك، ويصيده الطير والعقاب وقال الشافعي أن ما صيد بالحديد الذي يكون
في الحباله إذا قتله ذلك الحديد لم يكن ذكياً، لأنه لا يقوم مقام السهم الذي يرمى به فيقتله، لأن فعل ذلك الحديد لم
يتصل بيده في فعل واحد، وإذا رماه بسهم وهو على رابية تردى فوق فمات فهو مترد لا يجوز أكله، وليست هذه
حال الطائر لأن الطائر مما لا سبيل له إليه إلا بعد وقوعه، وليس يموت من السقوط كما يموت الظبي وما أشبهه مما
تردّى ولم يصبه سهم.
ولحم الظبي يؤلد دماً قريباً من السواد وهو أقل ضرراً من لحم البقر والأيل، وطبخه بالماء والملح أحمد، والكشتابية
منه عجيبة جداً وهو الكوشث وهو ماء البصل بالمر، وتفسيره بالفارسية لحم هذا العضو. والتقديد المبرز منه أكثر
ضرراً وأكثر لتحريك السوداء لأنه يزداد يبساً ويجود فعله ويقوى.
وكتب بعضهم إلى أخ له يقول:

لنا جدي إلى التربيع ما هو)؟ (... كأن القطن يُندف تحت جلده
عيننا بالرضاع له زماناً ... نُسمّنه فجاء نسيج وحده
وكشتابية من لحم ظبي ... أتتك به الجوارح بعد كده
إذا شئنا نضحناه براح ... ككهة شادنٍ وكلون خده
فإن لم تأتنا عجلًا حينئذ ... فعاقبك الحبيب بطول صدّه
وأطيب ما في الظبي كبده (مشوية) وشحوم الطباء تغذو غذاء كثيراً منافعه.
وزعم الحكماء أن دم النيس منها ومن كل ماعزٍ مانعٍ من السموم وأنه إذا صبّ حاراً على الحجر الذي يضرب
عليه النحاس فتنه.

وإذا خلط مع الزنجفر صبغ الياقوت، ويخلط معه وهو يابس قرطاس محروق، ويعجن بشيرج ويضمّد به البواسير
فأنه ينفع منها. ومرارته تنفع من العشا في العين، وكبده إذا شويت واكتحل بمائها نفعت، وكذلك كبده كل ماعز.

وإذا دهن إنسان مذاكيره بشحم خصية التيس مع شيء من عسل وجامع وجد له لذة.
وإذا عجن بعره بخلّ ودقيق شعير وضمده به الطحال نفع منه.
وإذا أحرق بعره وسحق بالخل نفع من داء النعلب.
وإذا شرب مع الخل أيضاً نفع من لدغ الهوام.
وإذا خلط دمه يابساً ببلادنٍ ودُهْن به الشعر غلّظه وطوّله.
والغزال يصادق من الحيوان الحجل.
وقال بعضهم في صيده بالحباله:

لما غدا القانص في غداته ... غدوّ مغوار إلى غاراته
يحمل ما يحمل من أدواته ... من شركٍ أوثق أنشطاته
وناط أوتاداً إلى حافاتِه ... تأثّق الكاتب في واواته
إذا لوهنّ على مشقاته ... يفتال والغيلة من عاداته

ظلي فلاه القفر في فلاته ... مبيغياً للصيد من مبعّاته
وقفت أستمع من مرآته ... إذ لَدَيْ في الصيد من لذاته
وإن علا همي على هِمّاته ... في ساعةٍ غراء من ساعاته
وقى بجماء السعد أعطياته ... ما كاد أن يلبث في مرياته
حتى رأيت العفر من عنّاته ... محمومة الحين مقدراته
مشدودة الاسار موثقاته ... وقلّ من طفت بأفنياته
أو من رأى شخصي في حاجاته ... إلا انكنا بنيل أمنياته

قال وللحباله خشبة يقال لها الجرة تعلق فيها لتثقلها إذا جذبها الطي ومن الأمثال: فوض الجرة ثم سالمها. يضرب للرجل يحاول الأمر ثم يسالم.
تم باب الأطباء.

باب

كلاب سلوق

وخصائصها وصيدها وعللها ودوائها وما قيل فيها من الشعر

أعلم أن كلاب سلوق تنسب إلى سلوق قرية باليمن، والعرب تنسبها كما تنسب الخيل، وقد ذكرها أبو بكر الوراق للشمخ، ووصف مزرد بن ضرار الفقعسي عدة منها بأسمائها وأنسابها فقال:
سخام ومقلاء القنيص وسلهب ... وحدلاء والسرحان والمتناول
بنات سلوقيين كانا حياته ... فماتا فأدوى شخصه فهو وحائل
وأيقن إذ ماتا بجوعٍ وخيبة ... وقال له الشيطان أنك عائل
يطوّف في أصحابه يستشيهم ... فأب وقد أكّدت عليه الوسائل

وسأل زيد الخيل حين وفد على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسماه زيد الخيل فقال: فينا رجلان يقال لأحدهما زرع والآخر أبو جداية لهما أكلب خمسة تصيد الطباء فما ترى في صيدهن؟ فأنزل الله عز وجل في لك: يسألونك ماذا أحلّ لهم.

وروى هشام عن ابن عباس أن أسماء تلك الكلاب المختلّسُ وغلّابُ، والقنيص وسلهب وسرحان والمتعاطس، وإناثها أسرع تعلماً من الذكور وأطول أعماراً، وتعيش عشرين سنة، وليس كذلك غيرها من الكلاب، وأكثر ما تضع ثمانية أجرٍ، وربما وضعت واحداً وحملها ستون يوماً وإذا وضعت الجروَ كان أعمى اثني عشر يوماً ومنه قول الشاعر:

كمثل جرو الكلب لم يفقح ... أقبح به من ولدٍ وأشقح

وتسجد بعد وضعها في اليوم الثاني ولا تسجد قبل ذلك، وتحيض في كل أسبوع، وعلامة ذلك ورم ثفرها، ولا تقبل السفاد في حيضها ويعتريها هزال عند وضعها، ويظهر لبنها بعد حملها بثلاثين يوماً، ويكون أول ما تضع غليظاً والأنثى تبول مقعية، ومنها ما يشعر، والشعور رفع الرجل للبول، يقال قرح بوله وشعر، والأنثى تكون أول نتاجها أصغر جثة، وكذلك الحجر والمرأة والبيض إذا كانا بكراً، والذكور تهيج قبل الاناث في السنة وهي صارف إذا هاجت ومستحزمة إذا منعت، ومعاظلة الكلاب سفاؤها والكلب يطرح مقادير أسنانه ويخلفها، ويخفي ذلك عن كثير من الناس، لأنه لا يلقي منها شيئاً قبل أن ينبت في مكانه آخر، وكذلك سائر السباع إلا الأنياب فإن كل ذي ناب ومخلب من الصوراري يلقيها إلقاءً بيناً متعلماً، وسبيل الغريب منها أن يؤنس حتى يوثق به فمما يؤنسه أن يطعم كسرة بعسل، وما دام ذنبه ذاهباً بين فخذه إلى بطنه فهو غير مستأنس، فإذا شاله فقد أنس وإذا مضغ له صاحبه وتفل في فيه أنس أيضاً.

ومن خصائصه أن رأسه كله من عظم واحد وإذا عاين الطباء، بعيدة كانت أو قريبة، عرف المعتل وغير المعتل منها، وعرف العنز من التي، وإذا أبصر القطيع لم يقصد إلا التيس، وأن علم أنه أشد حُضراً، وأبعد وثبة، ويدع العنز وهو يرى ما فيها من نقصان حضرها وقصر خطوها، ولكنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حقب ببوله، وكل حيوان يعرض له مع شدة الفزع إما سلس البول والتقطير، وإما اليسر والحقب، وإذا حقب التيس لم يستطع البول مع شدة الحضر، ووضع القوائم معاً ورفعها معاً، فيثقل عدوه ويقصر مدى خطوه، ويعتريه البُهر حتى يلحقه الكلب. والعنز إذا اعتراها البول لم تجمعها، وحذفت به لسعة المسيل يُعرف ذلك في الكلب طبعاً لا بتجربة، ولا يحتاج فيه إلى معاناة، ولا يعلم ولا يدرب، وتخرجه إلى الصيد في يوم الجليد والثلج وهما مترامان على الأرض حتى لا يثبت عليها قدم ولا خوف ولا حافر ولا ظلف فيمضي الكلب، ومعه الإنسان العاقل، والصيد الجرب، فلا يدري أين موضع الأرنب من جميع بسيط الأرض، ولا موضع كناس ظبي ولا مكو ثعلب ولا غير ذلك من مواج وحوش الأرض فيتلفت الكلب بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله، ويتنسم ويتصّر حتى يقف على أفواه تلك الجحرة فيشير ما فيها، وذلك أن أنفاس الوحش المستكنة فيها، وبخار أجوافها وأبدانها، وما يخرج من الحرارة المستكنة فيها في عمق الأرض، تذيب ما لاقاها من فم الجحر من الطنج، حتى يرق ذلك، وهو خفي غامض لا يقع عليه قانص ولا راع ولا قائف ولا فلاح، وله أيضاً في ملبح (كذار) الدراج والإصعاد خلف الأرناب في الجبل الشاهق من الرفق وحسن الاهتداء ما لا يخفاء به، ومن دهائه أنه لا يخفى عليه الميت والتمات في تشممه، ويقال أن الجوس لا يدفنون ميتاً لهم حتى يدنوا منه كلباً فيتشممه وتظهر لهم منه في تشممه (إياه) علامة يستدلون بها على حياته أو موته، وكذلك لا تجوز (عليه) حيلة الثعلب المتماوت، وأن كان لا يفعل الثعلب ذلك مع الكلب، بل يتموت للغراب وغيره، وينفخ

بطنه فإذا دنا منه قبض عليه. ومن خصائصه أن الأنثى تؤدي في جرائها لون الذكر لا تحرم منه شيئاً. وقال أبو بكر الوقيشي إن القاسم بن مجمع سأله عن المعنى في اعتبار الناس للمسير على الأثمار الجامدة بالكلب، فذكر أنه لصلابة وطأته وثقلها، فقال: لا إنما هو لقوة حسه وسمعه وبصره، وأنه أن سمع للماء خريراً من تحت لم يجز منه، وأنشدت في قوة بصر الكلب لعبد ربه:

وأشرف بالقور اليفاع علي .. أرى نار ليلي أو يراني بصيرها
أي كليها. وكل الجوارح تعمل لأنفسها غير الكلاب فإنها تجري على خلق في الاكتساب لأصحابها.

ما يعرف به هرم الكلب من فنائه

إذا كانت أسنانه سواداً كليلة دلّ ذلك على الكبر، وإذا كانت بيضاً حادة دلّ لك على الشباب، وأسنان الذكر أكبر، وهو شديد المضغ والخطم والاستمراء، وإذا ألقى إليه بضعة اللحم وتوخى أكلها حيث لا يرى، ويكثر التلفت، وبعض على العظم ليرضه، فإذا امتنع عليه وكان مما يسيغه أبتلعه واثقاً بأنه يستمر به وليس في الأرض من جميع أجناس الحيوان ما بذكره حجم ظاهر إلا الإنسان والكلب، ولا متسافدان أشدّ ملاءمة في طباع بعضهما لبعض من الكلبين.

ما يعرف به فراسته

من ذلك طول ما بين اليدين والرجلين، وقصر الظهر وصغر الرأس، وطول العنق، وغضف الأذنين، وبعد ما بينهما كأنما انصمتا على العنق، وزرقة العينين، وضخامة المقلتين، ونبوء الحدقة، وطول الخضم ودقته، وسعة الشدق، ونبوء الجبهة وعرضها، وشدة المنازعة للمقود والسلسلة.

ومن أمارات النجابة أن يكون تحت حنكه طاقة شعر واحدة غليظة وكذلك الشعر الذي على خديّه ويستحب فيه قصر اليدين، وطول الرجلين لأن ذلك صالح له في الصعود، ومشاكل للأرنب في هذه الصفة، ولا يلحقها في الجبال إلا ما كان كذلك، وطول الصدر وغلظه، وقربه من الأرض، ونبوء الزور، وغلظ العضدين، واستقامة اليدين، وانضمام الأظفار، حتى لا يدخل بينها تراب ولا طين، وعرض ما بين مفاصل الأعطاف، وعرض ما بين (عظفي) أصل الفخذ) وطولهما وشدة لحمهما ورزانة الحمل ودقة الوسط وطول الجلدة التي بين أصل الفخذين (والصدر، واستقامة الرجلين من غير أن تنحني الركبتان، وقصر الساقين وقصر الذنب ودقته، حتى يكون كأنه خشبة من صلابته. وليس يكره أن يطول ذنب الأنثى، ولين الشعر، وهو يستحب على الجملة في ذوات الجناح والقوائم. وقال المأمون لبعض أصحابه: أمض إلى بادية كذا وكذا فأبتع منها خيلاً تستجيدها، فقال: يا أمير المؤمنين، لست بصيراً بالخيال، قال أفلست بصيراً بالكلاب؟ قال: نعم، قال: فأبصر كل ما تتوخاه في الكلب الفاره المنجب، فالتمس مثله في الفرس وصفة النجابة فهي بمخلب تكون على رأس الذنب أو الساق والصواب فيه أن تقطع. والسود أقل صبراً على الحر والبرد، والبيض أفره إذا كنّ سود العين، وقد قال قوم أن السود تصبر على البرد، وزعموا أنها أقوى وأن كل اسود من الحيوان أقوى من غيره. فأما تخير الجراء والفراسة فيها، فإذا ولدت الكلبة واحداً، كان أفره من أبويه، وأن ولدت اثنتين، فالذكر أفره من الأنثى، وأن ولدت ثلاثة فيها أنثى في شية الأم فهي

افره من الثلاثة وأن كان في الثلاثة ذكر واحد فهو افرهها، وتؤخذ الجراء كلها وهي صغار لم تقم قوائمها فتلقى في مكان ندي فأبها مشى على أربع ولم يكتر سقوطه فهو الأفره.

أدوائها وصفة دوائها

فمن ذلك الكلب والدبحة والجرب والنقرس والفلج. فأما الكلب فيقال فيه على مذهب من المذاهب أنه جنون، ويقول فيه أصحاب الطبائع أنه كيموس سوداوي يفعل في الاعداء والمخالطة للحم المعضوض فعل السمّام، وهو موجود عياناً، يُحيل مزاج الإنسان إلى مزاج الكلب حتى يحيل الذكور فيخرج من إحليله مثال اكلب صغار وقلما رأيت هذا الداء يعترى كلاب سلوق، وإذا عَضَّ برأ هو، وانتقل الداء إلى المعضوض. وللمعضوض ضروب من الأدوية في أوقات، فإن فاتت لم ينجع الدواء.

وزعمت العرب أن دماء الملوك تشفى من الكلب، وقد أكثرت من ذلك في أشعارها، واختلف الناس في معناه فذهب قوم إلى أن الشعراء إنما خبّرت بذلك على سفك دماء الملوك. وقال قوم: إنما المعنى أن قتل الملوك يشفى من التأثير، لأن الإنسان إذا كان له في قوم ثار لم يكن يشفي صدره أن يقتل به إلا الأكفاء، أو من هو أعلى من قبيله ومنه قول زهير:

وإن يُقتلوا فيشتفي بدمائهم ... وكانوا قديماً من مناياهم القتل

وهذا الوجه أشبه بالمعنى في هذا الداء. واخبر رجل لا أشك في ثقته وصدقه أن رجلاً اعترضه كلب فأومى ليعضّه فتلقى فمه بكمّه، فأصابه من أسنانه ولعابه. ومضى لشأنه وشمر كمّه وأقام مشمراً له ساعات، ثم أنه نشره فتساقط منه جراً صغاراً.

وأما الذبحة فقد زعمت الأطباء أن من أجود ما يُستعمل للذبحة العارضة للإنسان أن يُفخ في خلقه من سحيق ما جفّ من رجيع الكلب الأبيض، أو يتغرغر به وهو أبلغ، وربما طلي به جسد المحموم، وأجوده ما أشتد بياضه. ودواؤها دواء الجرب. ودواء الجرب كبريت أبيض يُسحق ويُخلط بزيت ويُغلى على النار ويُطلى به موضع الجرب.

وأما النقرس فهو يعرض لها من الحفا لأن الأعضاء بالحفا تضعف فتصب إليها المواد، ودواؤه دواء الحفا هو أن تلتخ يدها ورجلاه وعجانه بدهن خلّ وزيت. وله أيضاً أن يجعل على يديه ورجليه قطران. وله أيضاً أن يؤخذ عصف وزاج أحضر من كل واحد منهما جزءاً فيدقا ويصب عليهما من الخمر ما يغمرهما، ويُجعل في الشمس أو على نار لينية حتى يغلظا، ثم تُغمس كف الكلب في ذلك وهو فاتر.

وأما الفلج فأمارته أن يعدو الكلب يوماً ويقصر في آخر، فيستدل بذلك على داء في جوفه. ودواؤه ماء الشبّ يُعجن بدقيق الدخن ويُطعمه الكلب سخناً. أو يُطعم كسرة خبز مع صوف شاه معجون بسمن فإنه يلقي ما في جوفه من الداء. ويقال لنصيبه من صيده الحرج؟).

قال الطرمّاح:

نوازرة حرصى على الصيد ههنا ... تفارط احراج الضراء الرواجز؟)

يمرّ إذا ما حل مرّ مقرّع ... عتيق حداه ابحر القوس جازز؟)

الجارز الين الأملس، وهو يصف سهماً شبه الكلب به في مضائه وسرعته. وقال أبو بكر: الجارز الحشن ويقال لما

يُطعم في غير الصيد لُحمة الكلب وطُعمة الكلب، وكذلك يقال للفهد والبازي وكل جارح وضارٍ. فأما في الغرب فيقال لُحمة.

صيد الكلب

إذا كسر الكلب مفرداً الأرنب فهو نهاية، وهو يطيق ما فوق ذلك، والقره منها تكسر الطباء، وقد ذكرنا من حال الطباء ما فيه كفاية، وتتجاوز الطباء إلى اليعفور فكسره، فإن زادت تعلقت بالأيل، ولا يطيقه منها إلا ذو الخلق الشديد، والبنية الوثيقة والقخامة، وبعد أن يجتمع عليه الاثنان والثلاثة من كلاب هذه صفتها، وليس يفوقها ويقهرها مُحضره، ولكنه ذو سلاح وهي ترهب قرونه يُنحي عليها إنحاءً شديداً.

وأما الأرنب والتعلب فالواحد من الكلاب يصيدهما كثيراً ما لم يتعلق الأرنب بالجبل، وعلى أن التعلب رواغ مكرّ، وإذا صار إلى الجاودة ولم يستتر بخمر ولا غيره فهو في يده، وربما التفت إلى الكلب وقد أخرج لسانه من شدة الحضر فعضّه ف يرجع عنه. وقد يصيد الكلب الدراج كما أن الصقر والبازي يصيدان الأرنب، وقال بعض الأدباء:

ومصدّرين بكل مجلس حكمة ... متقدّمين بكل يوم براز
سبقوا إلى غور القنار وأحرزوا ... خصّل القضايل أيما إحرار
لا تسفيق من الطراد جيادهم ... فتراهم أبداً على أوفاز
فبزاهم تصطاد صيد كلابهم ... وكلابهم تصطاد صيد البازي
ألفوا الوغي فتعللوا بمصايد ... عن شنّ غارات وبُعد مغاز
ونحن نذكر من الشعر في طرد الكلب، ونوفي بما وعدنا به من شرح حال الطريدة باباً باباً، ونبدأ بالأيل لأنه أعظم ما يصيده الكلب.

قال بعض المحدثين في ذلك:

أنعت كلباً للقلوب مُجدلاً ... آلى إذا أمسك ألاّ يقتلا
مؤملاً لأهله ممّلاً ... يزيد ذا الوفر ويُعني المرملا
ذا همّة في الصيد في أعلى العلا ... يستصغر الظبي فيبغي الأيلا
لا يجد الأيل منه موئلاً ... تحاله من خوفه معقلاً
يعول من كان عليه عوّلاً

ولم تثبت صفات الكلب إلى أن لعبنا منها بما لا يُحصى كثرة من الشرق والغرب، وأفره ما رأيناها منها ما يجيء من المغرب، وخير ما فيها البلق وهي حسان فره على كل ما أرسلت عليه من الطرائد. وخير كلاب الشرق ما جاء من عند الأكراد. وقد ذكرنا من ذلك ما شاهدناه واختبرناه.

ولقد ركب مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين المنتخبين ذات مرة فأصاب من البقر ما لم يُحصى كثرة، ورجع من الصيد ومعه عشرون جملًا عليها محامل فيها كلها كلاب الصيد، فرؤيت بمصر ظاهرة. وقال الحسن بن هانئ يصف الكلب:

أنعت كلباً أهله في كده ... قد سعدت جلودهم بجده

فكل خير عنلهم من عنده ... يظلّ مولاه له كعبه

بييت أدنى صاحبٍ من مهده ... وإن عدا جلّله برده

ذا غُرَّةٍ محجلاً بزنده ... تلذّ منه العينُ حسنَ قلده
تأخير شذقيه وطول خدّه ... تلقى الظباء عنتاً من طرده
تشرب كأس حنفيها من شدّه ... يصيدنا عشرين في مُرْقَدَه)
يا لك من كلب نسيحٍ وحده
وقال فيه أيضاً:

أنعت كلباً للطراد سلطاً ... مقلداً قلاتداً ومقطاً
فهو الجميل والحسيب رهطاً ... ترى له شديقين خُطاً خُطاً
وملطمماً سهلاً ولحياً سبطاً ... ذاك ومتنين إذا تخطى
قلت شرا كان أجيداً قُطاً ... يمري إذا كان الجراء عبطاً
برائناً سحماً الأثافي ملطاً ... ينشط أذنيه بمن نشطاً
تحال ما دُمّين منه شرطاً ... ما أن يقعن الأرض إلا فرطاً
كأنما يعجل شيئاً لقطاً ... أسرع من قول قطاةٍ قطاً
تحاله الصقر إذا ما انحطاً ... أو لهب النار أعبرت نفطاً
يعتاج خزان الصحارى الرقطاً ... يلقي منه حاكماً مشطاً
للعظم حطماً والأديم عَطاً
وقال فيه:

يا رب بيت بفضاء سبب ... بعيدي بين السمك والمطنب

لفتية قد بكرّوا بأكلب ... قد أدبوها أحسن التأدب
من كل أدفي مستبان المنكب ... يشبُّ في القود شُوب المقرب
يلجق أذنيه بحدّ المخلب ... فما ثنى وشيقة من أرب
عندهم أو تيس رمل علهب ... وعين عانات وأمّ تولب
وجلدة مسلوّبة من ثعلب ... مقلوبة الفروة أو لم ثقلب
ومرجل يهدر هدر المغضب ... يقذف حالاه بجوز القرهب
وقال فيه:

قد أعتدي والطير في مثنواتها ... لم تعرب الأفواه عن لغاتها
بأكلب تمرح في قِدَاتِها ... تعدّ عين الوحش من أقواتها
قد لوح التقديح وارياتها ... وأشفق القانص من خُفاتها
وقلتُ قد أحكمتها فهاتها ... وأدن للصيد معلّماتها
وارفع لنا نسبة أمهاتها ... فجاء يزجها على شياتها
شمّ العرايب مؤتفاتها ... سوداً وصرافاً وخَلَجِيَّاتها
كأن أقماراً على لَبَاتِها ... ترى على أفخاذها سماتها
قُود الخراطيم محرطّاتها ... من نهم الهم ومن حواتها
زلّ المواخير عملساتها ... مشرفة الأكفاف موزراتها

مفروشة الأيدي شر نباشها ... مفدياتٍ ومحمياتها
مسمّات ومفدياتها ... أن حياة الكلب في وفاتها
تقذف حالها بجوزي شاتها

وقال فيه:

إذا الشياطين رأّت زُنورا ... قد قُلِدَ الحلقة والسيورا
بكت الخزان القرى ثورا ... أدفى ترى في شدقه تأخيرا
ترى إذا عارضته مفُورا ... خناجراً قد بيّت سطورا
مُشتيكات تنظّم السُحورا ... أحسنَ في تأديبه صغيرا
حتى توفي الستة الشهورا ... من سنه وبلغ الشُعورا
وعرف الإيحاء والصفيرا ... والكفّ أن تومئ أو تشيرا
يعطيك أقصى حُضره المذخورا ... شدّاً ترى من همزه الاظفورا
منتشطا من أذنه سيورا ... فما يزال والغا تأمورا
من ثعلب غادره عفيرا ... أو أرنب جورها تجويرا
فأمتع الله به الأميرا ... ربي ولا زال به مسرورا
وقال فيه:

لما تبدى من حجابيه ... كطلعة الأشط من جلبابه
هجننا بكلب طالما هجننا به ... يتتسف المقود من جذابه
كأن متنيه لدى انسلابه ... متنا شجاع لَجّ في انسيابه
كأنما الأظفور من قنابه ... موسى صناع رُدّ في نصابه
تراه في الحضر إذا هاها به ... يكاد أن يخرج من اها به
يعفو على ما جرّ من ثيابه ... إلا الذي أثر من هُدا به
ترى سوامّ الوحش تحوي به ... يرُحنَ أسرى ظفوره ونابه
وقال فيه:

قد طالما أفلت يا ثعالا ... وطالما وطالما وطالما
جلتُ بكلبٍ نحوك الأجوالا ... ما طلت من لا يسأم المطالا
وله أيضاً:

وثعلب بات قرير العين ... لاقى مع الصبح غراب العين
وقد غدا مُجرّمزّ الشخصين ... فاستقبلته لحضور الحين
طلعة كلبٍ أغصّف الأذنين ... فمرّ يهوي ثابت السّلوين
إلى وِجارٍ بين صخرتين ... والكلب منه راكب المتين
فلم يره غير روعتين ... حتى أراني شلوه شلوين
مقطّعا أحسن قطعين ... فرُحتُ إذ رُحتُ به نصفين
كأنما رحت بأرنيين ... لأنه ماطني بدّين

ثم قضانيه أبو الحصين ... بعد خداعِ شابهُ بيمين
وقال أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان يصف الطرد:
ما العمر ما طالت به الدهورُ ... العمرُ ما تم به السرورُ
أيام عزي ونفاذُ أمري ... هي التي أحسبها من عمري
لو شئتُ مما قد قللنُ جدًا ... عدتُ أيام السرورِ عدا
أنعت يوماً مرّ لي بالشامِ ... ألدّ ما مرّ من الأيامِ
دعوتُ بالصقار ذات يوم ... عند انتباهي سحرًا من نومي
قلت له اختر سبعةً كبارا ... كلّ نجيب يرُدُّ الغبارا
يكون للأرنب منها اثنان ... وخمسةٌ تُفردُ للغزلانِ
واجعل كلاب الصيد نوبتين ... تُرسل منها اثنين بعد اثنين
ولا تؤخر أكلب العراضِ ... فهنّ حتف للظباء قاضِ

ثم تقدمتُ إلى الفهّادِ ... والبازيريين باستعدادِ
وقلت: إن خمسةً لثُقنعُ ... والزُرْقان الفرخ والممّع
وأنت يا طبّاح لا تباطا ... عجل لنا اللبّات والأوساطا
ويا شرايى البلسقيّاتِ؟ (... تكون بالراح مُيسّراتِ
بالله لا تستصحبوا ثقيلًا ... واجتنبوا الكثرة والفضولا
ردوا فلانًا وخذوا فلانا ... وضمنوني صيدكم ضمّانا
فاخترت لما وقفوا طويلا ... عشرين أو فوّيقها قليلا
عصابة أكرمّ بها عصابه ... شرطك في الفضل وفي النجا به
ثم قصدنا صيد (عين قاصر) ... مَظِنَّة الصيد لكل خابرِ
جنتناه والأرض قبيل المغرب ... تختال في ثوب الأصيل المذهب
وأخذ الدراج في الصباح ... مكتنفاً من سائر النواحي
في غفلةٍ عنا وفي ضلال ... ونحن قد زرناه بالأجالِ
يطرب للصبح وليس يدري ... أن المنايا في طلوع الفجر
حتى إذا أحسستُ بالصباح ... ناديتهم: حيّ على القلاح
نحن نصلي والبيزاة تُخرج ... مجرّداتٍ والخيول تُسرح
وقلتُ للفهّاد امضِ فأفرد ... وصح بنا إن عنّ ظيبي واجتهد
فلم يزل غير بعيدٍ عنا ... إليه يمضي ما يفرّ منا
وسرت في صف من الرجال ... كأنما نرحف للقتال
فما أستويينا حسناً حتى وقف ... غلّيم كان قريباً من شرف
ثم أتاني عجباً قال: السبقُ ... فقلت: إن كان العيان قد صدق
سرتُ إليه فأراني جامه ... ظننتها يقطي وكانت نائمة
ثم أخذت نبله كانت معي ... ودرت دورين ولم أوسّع

حتى تمكنت فلم أخطِ الطلب ... لكل جتف سبب من السبب
وضجّت الكلاب في المقامد ... تطلبها وهي بجهد جاهد
وصحّت بالأسود كالحطّاف ... ليس بيضي ولا غطراف
ثم دعوت القوم هذا بازي ... فأيكم بنشط للبراز
فقال منهم رشاً: أنا أنا ... ولو درى ما بيدي لأذعنا
فقلت: قابلي وراء النهر ... أنت لشطر وأنا لشطر
طارت له درّاجة فأرسلا ... أحسن فيها بازّه وأجملا
علّقها ففطعوا وصاحوا ... والصيد من آيينه الصياح
فقلت ما هذا الصياح والقلق ... أكلّ هذا فرح هذا الطلق
وقال كلابي: سوّ البازا ... قد حرّ الكلب فجز وجزا
فلم يزل يزعق بي مولائي ... وهو كمثل النار في الخلفاء
طارت فأرسلت فصارت شلوا ... حلّت بما قبل العلوّ البلوى
فما رفعت الباز حتى طارا ... آخر عوداً يحسن القرارا
اسودّ صياح عظيم كرز ... مطرّز محلك ملرّز
عليه ألوان من الثياب ... من حلل الديباج والعتاي
فلم يزل يعلو وباز يسفل ... يحرز فضل السبق ليس يغفل
يرقبه من تحته بعينه ... وإنما قد زاره لحينه
حتى إذا قارب فيما يحسب ... معلقه والموت منه أقرب
أرعى إلى بُنجه رجليه ... والموت قد سابقه إليه
صحّت وصاح القوم بالتكبير ... وغيرنا يضمّر في الصلور
ثم تسايرونا فطارت واحده ... شيطانة من الطيور ما رده
(من قُرب فأرسلوا إليها ... ولم تنزل أعينهم عليها)
فلم يعلّق بازّه وادى ... من بعد ما قاربها وشدا
فصحّت هذا الباز أم دجاجه ... ليت جناحيه على دُرّاجه
فاحمّرت الأوجه والعيون ... وقال: هذا موضع ملعون
إن لزلّها الباز اصابت بنّجا)؟ (... أو سقطت لم تلق إلا مدّرجا
اعدل بنا للبتج الخفيف ... والموضع المنفرد المكشوف
فقلت هذي حجة ضعيفة ... وغرّة ظاهرة معروفة
نحن جميعاً في مكان واحد ... فلا تَعَلّل بالكلام البارد
قصّ جناحيه يكن في الدار ... مع الدباسي ومع القمّاري
واعمد إلى جلجله البديع ... فأجعله في عنز من القطيع
حتى إذا أبصرته وقد خجل ... قلت أراه فارهاً على الحجل
دعه وهذا الباز فاطرد به ... تفادياً من غمه وعتبه

وقلت للخيل التي حولتنا ... تشاهلوا كلكم علينا
بأنه عارية مضمونه ... يقيم فيها جاهه ودينه

جئت بياز حسن مبهرج ... دون العقاب وفويق الزُمج
زَيْنٍ لرائيه وفوق الزَيْن ... ينظر من نارين في غارين
كأن فوق صدره والهادي ... آثَارَ مشي الدرّ في الرّماد
ذي منسرٍ فخم وعين غائره ... وفخذٍ ملء اليمين وافره
ضخم قريب الدستبان جدا ... يلقي الذي يحمل منه كدا
وراحة تغمر كَفِّي سبطه ... زاد على قدر البراة بسطه
سُرّ وقال: هات، قلت: مهلا ... احلف على الردّ فقال كلا
أما يميني فهي عندي غاليه ... وكلمتي مثل يميني وافيّه
قلت فخذ هبةً بقُبْله ... فصدّ عني وعلته خجله
(ثم ندمت غاية الندامه ... ولمت نفسي أكثر الملامه
على مزاحي والرجال خُطّر ... وهو يزيد خجلاً ويحضر)
فلم أزل أمسحه حتى انبسط ... وهشّ للصيد قليلاً ونَشِط
صاح به اركب فاستقلّ عن يدي ... مبادراً أسرع من قول قد
ضم سباقيه وقال قد حصل ... قلت له الغرة من شر المعمل
سرتُ وسار الغادر العيَّار ... ليس لطيرٍ معنا مطار
ثم عدلنا نحو نهر الوادي ... والطير فيه عددُ الجراد
أدرت شاهينين في مكان ... لكثرة الصيد مع الامكان
دارا علينا دورة وحلّقا ... كلاهما حتى إذا تعلقا
توازيا وأطرّدا اطرّادا ... كالفارسين التقيا أو كادا
ثمّت شداً فأصادا أربعاً ... ثلاثة خضراً وطيراً أبقعا
ثم ذبحناها وخلصناها ... وأمكن الصيد فأرسلناها
فجدلاً خمساً من الطيور ... فراد والرحمن في سروري
أربعةً منها ائيسيان ... وطائرًا يُعرف بالبيضان
خيل تناجيهن حيث شيناً ... طيعةً ولُجمها ايدينا
فهي إذا ما رُفعت للعاده ... صرّفها الجوع على الإراده
وكلّما شدّا عليها في طلق ... تساقطت ما بيننا من الفرق
حتى أخذنا ما أردنا منها ... ثم انصرفنا راغبين عنها
إلى كراكيّ بقرب النهر ... عشر أراها أو ثوين العشر
لما رآها الباز من بعد لصق ... وحدد الطرف إليها وذرق
فقلت صدناها ورب الكعبه ... وكن في واد بقرب جنبه
فدرتُ حتى مكنتُ ثم نزل ... فحطّ منها اقرعاً مثلّ الحمل

ما انحط إلا وأنا إليه ... ممكناً كفي من رجليه
نزلت كي أشبعه إذا هيبه ... قد نزلت من عن يمين الرايبه
فَشَلَّتْهُ ارغب في الزيادة ... وتلك للطراد شرّ عاده
لم اجزه بأحسن البلاء ... أطعتُ حرصي وعصيت رأيي
فلم أزل اختلها وتختل ... وإنما نختلها إلى الأجل
عمدتُ منها لكبيرٍ مفرد ... يمشي بعنق كالرشاء المُحصد
طار، وما طار ليأتيه القدر ... وهل لما قد حان سمعٌ أو بصر؟
حتى إذا جدّله كالعدل ... أيقنت أن العظم غير الفصل
ذاك على ما نلتُ منه أمر ... عثرت فيه واقال الدهر
خير من النجاح للإنسان ... إصابة الرأي مع الحرمان
صحت إلى الطَّبَّاحِ ماذا تنتظر ... انزل على النهر وهات ما حضر
جاء بأوساط وجرّد تاج ... من حَجَلِ الصيد ومن درّاج
فما تنازلنا عن الخيول ... يمنعنا الحرص عن النزول
وجئ بالكأس وبالشراب ... فقلت وقرها على أصحابي
أشبعني اليوم وروّاي الفرح ... فقد كفاني بعض وسط وقدح
ثم عدلنا نطلب الصحراء ... نلتمس الوحوش والظباء
عنّ لنا سربٌ يبطن وادٍ ... يقدمه اقرن عَجَلِ الهادي
قد صدرت عن منهل روي ... من عُبرِ الوسمي والوليّ
ليس بمطروق ولا بكّي ... ومرتعٍ مقتبل جيّ
رغبين فيه غير مذعورات ... بقاع وادٍ وافر النبات
مرّ عليه غدق السحاب ... بواكف متصل الرباب
لما رأنا مال بالأعناق ... (نظرة) لا صب ولا مشتاق
ما زال في خفض وحسن حال ... حتى أصابته بنا الليالي
سرب حماه الدهر ما حماه ... لما رأنا ارتدّ ما أعطاه
بادرت بالصقار والفهاد ... حتى سبقناه إلى الميعاد
فجدّل الفهد الكبير الأقرنا ... شدّ على مذبحه واستبطننا

وجدل الآخر عنزاً حاملاً ... رعت حمى الغورين حولاً كاملاً
ثم رميناها بالصقور ... فجنننا بالقدر المقدور
افردن منها في القراح واحدة ... قد ثقلت بالحصر وهي جاهده
مرت بنا والصقر في قذالها ... يؤذنها بسيء من حالها
ثم ثناها واتاها الكلب ... هُما عليها والزمان الب
فلم نزل نصيئها وتصرع ... حتى تبقى في القطيع أربع
ثم عدلنا عدلةً إلى الجبل ... إلى الأراوي والكباش والحجل

فلم نزل بالخيـل والكلاب ... نحوزها حوزاً إلى الغياب
ثم نزلنا والبغال موقره ... في ليلةٍ مثل الصباح مسفره
حتى أتينا رحلنا بلبيل ... وقد سبقنا بجياد الخيل
ثم نزلنا وطرحنا الصيداً ... حتى عددنا مائة وزيداً
فلم نزل نشوي ونقلي ونُصب ... حتى طلبت صاحياً فلم نُصب
شرباً كما عنّ من الرِّقاق ... بغير ترتيب وغير ساق
فلم نزل سبع ليالٍ عدداً ... أسعد من راح أحظى من غدا
تمت وأهدي إلى بعض الملوك صيد وكتبت معه هذه الأبيات:
أزال الله شكواك ... وأهدي لك افراقاً
خرجنا أمس للصيد ... وكنا فيه سباقاً
فسمينا وارسلنا ... على بخنك اطلاقاً
فجاء الله بالرزق ... وكان الله رزاقاً
وأحرزنا من الدراج ... ما الرحل به ضاقاً
فأطعمت وأهديت ... إلى المطبخ أو ساقاً
وخير اللحم ما أقل ... قه الجارح اطلاقاً
وذو العادة للصيد ... إذا أبصره تاقاً
فيغذوه بما كان ... إليه الدهر مشتاقاً
فكل منه شفاك الـ ... ه مشويّاً وأمرافاً
فهذه الحفظ للـ ... وة لا تدبير اسحاقاً

ما قيل في الجوارح من الشعر

ما قيل في الجوارح ووصف به من الشعر المستحسن لمتقدم ومتأخر

فمن ذلك ما قال أبو نؤاس في صفة البازي:
قد أسبق القارئة الجونا ... من قبل تغويب المنادينا
بكل منسوب بأعراقه ... على عيون الارمينينا
رييب بيت وانيسٍ ولم ... يرب بريش الأم محضونا
لم ينكه جرح حياصٍ ولم ... يبع له بالنفل تسكينا
كُرِّز عام صاغه صانع ... لم يدخر عنه التحاسينا
ألْبسه التكريز من حوكه ... وشياً على الجوّجؤ موضونا
له جراب فوق منقاره ... جمعن تأنيقاً وتسنيينا
كل سنان عيج من متنه ... تخال مَحني عطفه نونا
ومنسر أكلف فيه شفا ... كأنه عقد ثمانينا

وهامة كأنما قنعت ... سبّ حياك السابريينا
ومقلة أشرب آماقها ... تبراً يروق الصبر فيينا
يرسل منه عند إطلاقه ... على الكراكيّ دُرْخمينا
داهية تحبط اعجازها ... خبطاً تحسّيه الأمرينا
قد مشقته في الحشا مشقة ... أَلقت من الجوف المصارينا
يحمي عليها الجو من فوقها ... حيناً ويُغريها أحيينا
فمُقَعصٌ أثبت في نحره ... وخاصب من دمه الطينا
أعطى البراة الله من فضله ... ما لم يخوّله الشواهينا
وقال أيضاً:

حشوتُ كفي دستباناً مُشعراً ... فروة سنجاب لؤاماً اوبرا
بقي بنان الكف ألا تخصرا ... وغمزة البازي إذا ما ظفراً
فشمتُ فيها الكف إلا الخنصرا ... أعددت للبعثان حنفاً ممقرا
أبرش بطنان الجناح أقمرا ... أرقط ضاحي الدفتين أمرا
(كان شذقيه إذا تضورا ... صدغان من عرعره تظفرا)
كأن عينيه إذا ما أثارا ... فُصّان قُدّا من عقيق أحمرا
في هامة علباء تهدي منسرا ... كعطفة الجيم بكفّ أعسرا
فالطير يلقين مُدقاً مكسرا ... مشقاً هذاذيه ونهساً نهسرا
وقال غيره في صفته:

مكان سواد العين منه عقيقة ... وتبر على خط البياض يدور
تمور إذا مارنقت في مآقها ... كما مار من ماء الزجاج نور
له قُرْطُقٌ ضافي البنائق أتمر ... مفوفٌ ضاحي الشقتين طير
ومن تحته درع كأن رقومه ... تعاريح وشي أرضهن حرير
كأن اندراج الريش منه جئاتك ... بعقب سحابات هنّ نشور
له هامة ملساء أما قذالها ... فمُوفٍ وأما جيدها فقصير

ململمة فرعاء لولا شكيرها ... لقلت مذاك ضَمَنته صخور
معصبة بالقدّ ذات نواشر ... لها من خطاطيف الحديد ظفور
له منسر يحكي من الظبي روقه ... إذا تم للتحجيز منه طرور (؟)
له فُوفٌ فوق القذال كأنها ... ولم يَعْلُه وخط القتير قدير
تخيره القنّاص من بين عصابة ... لهم عند فخر القانصين فخور
وهذبّه حتى كأن ضميره ... له دون ما تموى النفوس ضمير
أنانا به من رأس خلقاء حزنه ... لها فرق أرآد الشفاف ذرور
مؤللة جَلَسٍ إذا الطرف رامها ... أعادت إليه الجفن وهو حسير
كآدٍ تحاماها الأتوق فما لها ... بأحضائها دون الرؤوس وكور

سباه صغيراً فأستمرّ لحزمه ... وردّ إليه العزم وهو كبير
يُقطّع أسحار البغاث كأنما ... له في نحر البائسات ثور
تبنوا أيدي مالكيه كأنه ... على أمره في الجلال أمير
ومما قيل في صفته:

كأنها ألواح بازٍ فضل ... كُرّز يلقي ريشه ويغتلي
أكلف ملتفّ بريش دغفل ... تَلَفَّ الشيخ التوى في المشمل
إذا غدا والطير لم تُصلصل ... غدا بضيق العينين لم يكمل
بجدٍ أطراف شياً مؤسل ... فانحطّ يهوي من بعيد المحتل)؟
إن طرن ساماهنّ سامٍ من عل ... وإن تطأطن انحنى لأسفل
أودّين بعد النفض والتحفل ... من لطم ذي معمعة مولول
وقال بعض المحدثين يصفه:

قد أعتدي في نفس الصباح ... بمقرم للصيد ذي ارتياح
معلق الأشباح بالأشباح ... يركض في الهواء بالجناح
كركض طرف السبق في البراح ... ذي جلجل كالصرصر الصيَّاح
قُمّص وشياً حسن الاوضاح ... تحاله منه حباب الرّاح
حتفٍ لطير اللّجّة السّباح ... ذي الطوق منهن وذي الوشاح
يسبحن في الماء وفي الرياح
لما خبا ضوء الصباح ومشى ... غلوت في غرته منكمشاً
أنتاب بالدير غديراً مرعشاً ... بكرّزي كالرخام أبرشا
تحال في الجوجو منه نمشا ... أو بُردَ وشاء أجاد النّقشا
أو وحي حبرٍ في أديم رقشا ... وتحسب الريش إذا ما نمشا
قطناً على منسره منقشا
أخطأ في قوله نمشاً كان يجب أن يقول:

ونحسب الريش إذا ما نمسا
بالسين غير معجمة في الجوارح فأما النهش بالإعجام فللحيّة.
وقال:

غدوت للصيد بفتيان تُجب ... وسبب للرزق من خير سبب
غداً تلاقى الطير حتفاً من كذب ... وهي على ماء خليج تصطخب
تطلب ديناً في النفوس قد وجب ... بمقلة تمتهك أستار الحجب
كأنها في الرأس مسمار ذهب ... كانت له وسيلة فلم تحب
ذي منسر مثل السنان محتضب ... وذنب كالذيل ريان القصب
اسبل فوق عطية من العُطب ... كأن فوق رأسه إذا انتصب
من حلل الكتان راناً ذا هُدب ... قد وثق القوم له بما طلب

فهو إذا خُلِّيَ لصيدٍ واضطرب ... عرّوا سكاكينهم من القرب
وقال عبد الله بن محمد الناشي يصفه:

لما تفرّى الليل عن اثباجه ... وارتاح ضوء الصبح لانبلاجه
غدوت أبني الصيد في منهاجه ... بأقمرٍ أبدع في نتاجه
ألبسه الخالق من ديباجه ... ثوباً كفى الصانع من نساجه
حال من السوق إلى أوداجه ... وشياً يجار الطرف في اندراجه
في نسقٍ منه وفي انعراجه ... وزان فودّيه إلى حجاجه
بزينة كفته نظم تاجه ... منسره يبنى عن خلاجه
وظفره يخبر عن علاجه ... لو استضاء المرء في ادلاجه
بعينه كفته من سراجه

وقال:

أيا صاح بازيّ بازيّ أنه ... من البؤس والفقر في الدهر جُته
ألست ترى طبيبات يردن ... مياهاً يضيء تألّفهته
صوارينا شأنكنّ النهود ... لهن فهن أولياؤكنه
قياماً أقبحكن الغداة ... أن لم تحنن إلينا بهته
فيهيّاه يهيّاه أين المفر ... لهن إذا ما شاء أو تيهته
ويا خيل ويهاً دراكٍ دراكٍ ... عساكن تمنحننا صيلهنه
فناخذ منهنن ثاراتنا ... بحق جناية أشباههنه

(فكم من قتيل لنا هالك ... يا حداقهن وأجفانهته)
يمكن من شائمت القلو ... ب ضواري العيون فيصدّ منه.
وقال محمود بن الحسين السندي الكاتب يصفه:

لما أجدّ الليل في انجيازه ... ولاح ضوء الصبح في أعجازه
دعوت سعداً فأتى ببازه ... يحمل يسراه على قفازه
ضامن زادٍ جدّ في احرازه ... ندباً هوأن الطير في اعزازه
أقرانه تنكل عن برازه ... يبادر الفرصة في انتهازه
كأنما راح إلى برّازه ... فابتزّه الموشى من طرازه
فصاد قبل الشدّ في اجتيازه ... خمسين حزناً هن باحتيازه
ما أسلف البرّ فلم يجازه ... ولا خلا في الوعد من إنجازه
وله فيه:

قد أعتدي والليل مهتوك الحمى ... والصبح يستنفض أسرار الدجى
مبتسماً عن ساطع من الضيا ... ضحك الفتاة الخود في وجه الفقى
أو مثل وجهي يستهّل للقرى ... بكاسرٍ من البراة مجبى
أيض إلا لمعاً فوق الفرا ... كأنما رش عبيرٍ في مُلا

كأنما ناظره إذا سما ... يا قوته تمّدى إلى بعض اللّمي
كأنما المنسر من حيث انحنى ... عطفة صدغ خُطّ في خدّ رشا
كأنما نيطت بكفيه مُدى ... أوحى من النجم إذا النجم هوى
أو رجعة الطرف سما ثم انثنى ... تستأسر الطير له إذا بدا
موقنة منه بحتفٍ وردي ... أجزل بما كافأته وما جرى
أقرضته تأميل ربح فوفى ... بواحدٍ ألقا وأربى في العطا
وليس بين العبد والمولى ربا

قال: وكنت إلى صديق لي من الكتاب أصف بازيًا له حضرت معه الصيد به
قد أعتدي أو باكراً بأسحار ... ونحن في جلاباب ليل كالقار
شدّ علينا بعري وأزرار ... كأنه جلدة نويّ عار
حتى إذا ما عرف الصيد الضاري ... وأذن الصبح له في الإبصار
خلى لكل شيخ ناتي الدار ... فارس كفّ مائل كالأسوار
ذو جؤجؤ مثل الرخام المرمار)؟ (... أو مصحف منمنم ذي أسطار
ومقلة صفراء مثل الدينار ... يرفع جفناً مثل جوف الزنار
ومخبل كمثل عطف المسمار ... آنس طيراً في خليج همدار
مضطرب اللجئة صافي الأقطار ... سواجاً تغري جباب التّيار
من كل صدّاح العشيّ صفّار ... كأنه مرجّع في مزمار
وذاق طوق أخضر ومنقار ... كنصف مضراب يرى منه البارى
فصاد قبل فترة وإضجار ... خمسين فيهن سمات الأظفار
يخطها خبط ملك جبار ... مظفراً يطلبها بالأوتار
قد حُكمت سيوفه في الأعمار ... كأنه فيها شواظ من نار

ما قيل في الباشق من الشعر

مما ضمّناه كتابنا هذا فمن ذلك قول محمود بن الحسين الكاتب:
وكان جؤجؤه وريش جناحه ... ترجيع نقش يد الفتاة العاتق
يسمو فيخفى في الهواء وتارة ... يهفو فينقض انقضاض الطارق
ما حام عن طلب الحمام ولم يُفق ... مذ كان من صيد الاوز الفائق
يشفي إذا نعب الغراب بفرقة ... قلب الحب من الغراب الناعق
وإذا القطة تخلفت من خوفه ... لم يعد أن يهوى بها من حاقق
له هامة كُلتت باللجين ... فسأل اللجين على المفرّق
يقلّب عينين في رأسه ... كأنهما نقطتا زئبق
وشرب لونا له مُذهباً ... كلون الغزالة في المشرق
هُنيّدة كاملة وزنه ... وسرعته سرعة البيدق

حمام الحمام وحتف القطا ... وصاعقة القَبَجِ والعَفَقِ
وأحنى عليك إلى أن يعود ... إليك من الوالد المشفق
وإن غاب عنك لصيدٍ نحاه ... بأستان مستأسدٍ موثق
سمعت الفصيح كأن الحظي ... ل يطارحه علل المنطق
فأكرم به وبكف الأمير ... وبالديستبان إذا تلتقي
وقال بعض شعراء بني هاشم يصفه:
لما انجلى ضوء الصباح فانفتق ... غلوتُ في ثوبٍ من الليل خَلَقَ
بطامح النظرة في كل أفق ... بمقللة تصدقه إذا رفق
كأنها نرجسة بلا ورق ... مباركٍ إذا رأى فقد رُزِقَ
وقد قيل في الباشق من الشعر ما لو أتينا به لأطلنا ولكننا اقتصرنا في ذلك على ما ضمناه كتابنا.

ما قيل في الشواهين من الشعر

قال أبو نؤاس:
قد اغتدي قبل الصباح الأبلج ... وقبل يفتان الدجاج الدُحج
أو سبهردار اللون اسهرج ... يوفي على الكفّ انتصاب الرمج
مشمر ثيابه عن موزج ... كأنما عُلّ بصيغ النيلج
كأن لون ريشه المدرج ... من قائم منه ومن معرج
بأقي حروف السطر المخرفج ... أبرش أوتاد الجناح الخرج
بين خوافيه إلى الدهيرج ... ينهس سير المقود الخملج
من نهم الحرص وأن لم يلمج ... ينحاز جولان القذى المنميج
عند امتداد النظر الخمج ... من مقلة واسعة الخمج
كأنما يطرق عن فيروزج ... من الشواهين كالاف كنفج
في هامة مثل الصلا المدمّج ... ومنسر أفنى رحاب المرفج
حتى قضينا كال حاج محتج ... من دبرج اللون وغير الديرج
يظل أصحابي بعيش سجسج ... من رَهَم الصيد وشرب البنجج
تراهم من معجل ومنضج ... وقادح أورى ولم يؤجج
وأنشيدتُ لبعضهم في صفته:

هل لك يا قنص في شاهين ... سَوْدَاتِقِ مؤدّب أمين
جاء به ساييه من دَرين ... ضراه بالتخشين والتلين
حتى لأغناه عن التلقين ... فكاد للتقيف والتمرين
يعرف معنى الوحي بالجفون ... يظلّ من جناحه المَرين
في قُرطِق من خزّه الثمين ... مفوّق في نعمة ولين
يشبه في طرازه المصون ... بُرد أنوشروان أو شيرين

وشِكَّةٌ كَرَّرِدِ مَوْضُونَ ... مضاعف بالنسج ذي غضون
كدرع يزدجر أو شروين ... أحوى مجاري الدمع والشؤون
ذي منسِرٍ مؤيدٍ مسنون ... وافٍ كشطر الحاجب المقرون
منعطف مثل انعطاف نون ... ييدي اسمُهُ معناه للعيون

ما قيل في الصقر من الشعر

قال رؤبة بن العجاج:

قد أعتدي والصبح ذو بنيق ... بملحمٍ أكلفٍ سوذِيق
يرمى إلينا نظر الموموق ... عجلان منها عن غدِيرِ النوق
على شمال مطعمٍ مرزوق ... بكفٍ بسطامٍ على توفيق
آنسٍ سرِباً لأبِحِ التبريق ... فأنقضَ ضارٍ كعب التمزيق
كأنه حطَّانٍ منجنيق ... إذا انتحى بمخلبٍ علوق
طأطأ منهنَّ عن التحليق ... قد وثقوا من وقعة الموثوق
بوقع لا وان ولا مسبوق ... يدير عيني وعلٍ موروق
يصكّ كل خُربٍ بطريق ... بين فضاء الأرض والمضيق
يعطيه بعد النفض والتعريق ... عنقاً ورأساً كقفا الإبريق
أوراقٍ إلا جدّة التطويق ... أدمج بالحناء والخلوق
مما يُشَقَّى من دم العروق ... كان صوت ريشه المطروق
لما تدلى من أعالي النيق ... قصباء حَتَّ في ضيا حريق
وأنشدني بعض أهل العلم:

يا رب صقر يفرس الصقورا ... ويكسر العيقان والنسورا
يجتاب برداً فاحراً مطرورا ... مسيراً بكتفه تسييرا
وقد تقبّى تحته حريرا ... مشمرا عن ساقه تشميرا
يضاعف الوشي به التميمرا ... معرجاً فيه ومستديرا
كما يضمُّ الكاتب السطورا ... كأنه قد ملك التصويرا
لنفسه فأحسن التقديرا ... يروم منه أسداً هصورا
مشزراً ألحظه تشزيرا ... كأنَّ في مقلته سعيرا
تخاله من قلق مذعورا ... ذا حذرٍ قد جرب الأمورا
سباه من شاهقةٍ صغيرا ... قد طار أو ناهز أن يطيرا
من كان بالرفق له جديرا ... ينذر في ابقائه الندورا
كأن ساقيه إذا استثيرا ... ساقا ظليم أحكما تضبيرا
ذا هامة ترى لها تلويرا ... كما أدرت جنديلاً نقيرا
تسمع من داخلها صفيرا ... يحكي من البراعة الزميرا

ترى الاوزّ منه مستجيرا ... يباكر الضحضاح والغديرا
يثبت في أحشائها الاظفورا ... ينظم الأسحار والنحورا
وله أيضاً:

غدونا وطرفُ الليل وسنان غابر ... وقد نزل الاصباح والليل سائر
بأجلدٍ من حُمْر الصقور مؤدّب ... وأكرم ما جرّبت منها الاحامر
جرىء على قتل الطباء وإنني ... ليعجبني أن يقتل الوحش طائرُ
قصير الذنابي والهدامى كأنها ... قوادم نسرٍ أو سيوف بواتر
ورُقشّ منه جَوْ جَوْ فكأنما ... أعارته أعجام الحروف الدفاتر

وما زالت بالاضمار حتى صنعته ... وليس يجوز السبق إلا الضوامر
وتحملة منا أكف كريمة ... كما زُهِيت بالخاطبين المناير
فعنّ لنا من جانب السفح ربرب ... على ستن تستنّ فيه الجآذر
فَجَلِّي وُحلت عقدة السير فانتحي ... لأولها إذ أمكنته الأواخر
يحث جناحيه على حرّ وجهه ... كما فُصّلت فوق الخلود المغافر
فما تمّ رجع الطرف حتى رأيتها ... مصرّعة تموي إليها الخاجر
كذلك لذاتي وما نال لذة ... كطالب صيدٍ ينكفي وهو ظافر
وقال فيه:

ألقت صقراً جلّ باربه وعزّ ... ندباً إذا قدّم ميعاداً نجّر
مجتمع الخلق شديداً مكنتز ... أهر رحب الجوف مخطوف العجز
كأنما الريش عليه حمل خز ... كأنما حملاقه زّ نار قر
كأنما بنظر من بعض الخرز ... أنمر من عزّ به في الصيد بر
في مثله يسعد اطارار الرجز ... يعدو على الظبي ويغتال الخرز
ويقتل الفزّ فما يُخطبه فز ... ويحتوي على الحمام والاوز
يعبرها حتى إذا جاز همز ... أمضى من العصب إذا ما العصب هُز
وإن رأى الفرصة منهن انتهز ... حاز على أشكاله ما لم تحز
تري به شخص حمام أن برز ... ما أخطأ المفصل منها حين حرز
كلا ولا أحرزها منه حرّز ... صلّ بالقطاميّ إذا شئت تفز
وأفخر به فالصقر أعلا وأعز ... وسائر الطير سداد من عوز
وقال آخر يصفه:

مثل القطاميّ أناف قنبيه ... محتضباً معظمه ومخلبه
يغتصب الطير وما تغتصبه ... تظلّ في الاخمار مما ترهبه
جانحة من خوفه ترقبه ... لا يأمن الضربة منه أرنبه
ولا يدب بالفضاء ثعلبه ... مثر من الكسب قليل نشبه
يكتسب اللحم وما يكتسبه ... بات وطلّ من سماءٍ يضربه

حتى إذا الصبح تجلّت جوبه ... عن طرفٍ لِمَاحٍ شديدٍ كَلَبه
من أضمّ الجوع الذي تَلَهَّبُه ... يكاد أن عاين شخصاً بمثقبه
بقوة الطرف الذي يقلبه ... اسنان عين صادق لا تكذبه
لاح له قبل الذرور خُرْبِه ... وليّ ولا يُرِيل منه هربه
واحتنه من جوه تصوّبه ... به رشاش من دم يخضبه
كأنه طالب ذخلٍ يطلبه ... أعسر مسحور شديد كَلَبِه
ذو ماقّة كدّرها تغضُّبه ... ما أن يرى أن علواً يغلبه
كأنه في ألح إذ يقطبه ... إن طار عنه ريشه وزغبه
وافضّ من بعد اجتماع سلبه ... عفرية صبّ عليه كوكبه
في مستجير اللون داج غيبه ... أو قشعُ فروٍ لم يُجمّع هدبُه

باب

صيد طير الماء في القمر

بالبازي والباشق وهو باب تفردنا به دون غيرنا ولم نعلم أحداً سبقنا إليه من مؤلفي كتب البيزرة من المتقدمين
إذا أردت أن تصيد بالبازي أو الباشق طير الماء في القمر فأعمد إلى أفره ما عنك من بازي أو باشق فعوده التلقيف
بالعشيّ على حمام أبيض

وكلما جاءك فأشبعه حتى يألف ذلك ولا يتأخر عنه، ثم اجعل تلقيفه مع صلاة المغرب ليلتين أو ثلاثاً حتى تتق بمجيئه
على الصباح من وسط النخل، فإذا جاءك من النخل على الصباح فأشبعه على التلقيف فقط ليلتين أو ثلاثاً ثم أجعل
تلقيفه مع صلاة العشاء الآخرة ولا تطعمه نهاره شيئاً، وليكن ذلك في الليلة التي تريد الصيد فيها، وإن لم ترد الصيد
به فيها، فأجعل طعمه بالغداة كساتر الجوارح وإذا هو جاءك العتمة، ولم يتأخر عنك إذا سمع صياحك فأشبعه ليلتين
أو ثلاثاً، ليألف الشبع في الليل، فإذا فعلت به ذلك وألفه وأردت الصيد به فعين على خليج يكون فيه طير الماء،
فإن كان بازيّاً فأجهد أن يكون طير الماء كبيراً، وإن كان باشقاً فليكن طير الماء صغيراً وهي تسمّى الحذف، فإذا
عزمت على الصيد به وكانت بينك وبين خصم مبايعة على الصيد في الليل، فنخذ خصمك واركب، فإذا رأيت
الطير الذي عيّنت عليه في الخليج، فلا تعجل بالإرسال وأمسك يدك وأضرب الطبل، فإن الطير إذا علت رآها
البازي فحيث أرسله، فإنه يصيد بأذن الله، ومتى أرسلته قبل أن تضرب له الطبل مرّ على وجهه لأنه لا يتأمل طير
الماء، وما يحتمل إرسال الليل يحتمله إرسال النهار، لأن الجراح يبصر الطير بالنهار عن بعدٍ ولا يمكنه النظر في الليل
فلذلك وجب أن تتبّت في الإرسال فإذا صاد فأشبعه.

وربما أخطأ وقعد في النخل فأدعه فإنه يجيئك للتلقيف فإذا جاءك فأشبعه وقد يجوز أن يبيت على بعض النخل فإذا
ينست من مجيئه فيبيت علاماً تحته فإنه يأخذه بالغداة، ولا تطعمه شيئاً، وعد به في الليلة الثانية، وليكن معك طيرة
ماء مخيطة فإن هو صاد فأشبعه وإن لم تجد من طير الماء شيئاً فطير له التي معك وأشبعه عليها فإنه يصيد بأذن الله.
وقد حدثنا أن الاخشيد كان له بازي يصيد به في القمر، ولم نر ذلك ولا علمنا أن أحداً سبقنا إليه، وربما زاد الناس
في الكلام ونقصوا.

وأما الشاهين والصقر فمن طبعهما الصيد بالأسحار، وكثرة صيد الشاهين في الأسحار الواقات والقيسات وهي الصلوات لقلة مراوغتها في الليل. وكذلك طير الماء ليس له مراوغة في الليل عند ضرب الطبل ولذلك يقدر على صيده.

باب

شد الجوارح على الكنادر

قد ذكرنا في كتابنا هذا ما لم يذكره الناس في كتبهم من شدّ الجوارح على الكنادر من البراة والبواشق، لأنّها تُشدّ على العوارض، ومتى كان شدّها ضيقاً لم يؤمن عليها من الانقطاع، لأنه متى وثب الجراح على غفلة وهو قصير الشدّ لم يؤمن عليه أن ينقطع، والأجود أن يكون في شدّه فضل فإنه أسلم له، ويجب على من تكون له جوارح ألاّ يبيت أو يفتقلها فإن كانت وجوها إلى الحائط حوّلها عنه ليأمن عليها. وحُدثنا عن شيخ من اللّعب أنه كانت له عدة بواشق في بيت، وأنّها كانت موجهة إلى الحائط وأن واحداً منها عارضه شيء في الليل فوثب فلقى الحائط بشدة بدنه فمات، وأن كل ما كان معه من البواشق لما أحسّت بوثبته وثبتت كلها فأصبحت تحت الكنادر أمواتاً عن آخرها، ولم يُعرف لها سبب غير ما ذكرناه، فأحببنا أن نجعله باباً مفرداً وقد وصينا بما فيه الصلاح لمن انتهى إليه وعمل به وباللّٰه نستعين وعليه نتوكل. تم الكتاب والحمد لله رب العالمين كما هو أهله ومستحقه وصلى الله على نبيه محمد خاتم النبيين وعلى الأئمة من عترته الطاهرين الأخيار وسلم تسليمًا.